

# الحساب الصحيح من ببيان الحكم الرشيد

بحث تفصيلي في بيان علم الحساب وأهميته في نصره الحق وإقامة الميزان

تأليف

زكريا يوسف محمد أبوقرين الطرابلسي

---

قال الشافعي رحمه الله:

أُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ  
لَعَلِّي أَنْ أُنَالَ بِهِمْ شَفَاعَهُ  
وَأَكْرَهُ مِنْ تِجَارَتِهِ الْمَعَاصِي  
وَلَوْ كُنَّا سَوَاءً فِي الْبِضَاعَةِ

# المحتويات

7	1 مقدمة
11	2 الميزان الكوني والميزان الشرعي
11	2.1 المقدمة . . . . .
12	2.2 الميزان الكوني . . . . .
16	2.3 الميزان الشرعي . . . . .
20	2.4 الإرادة الكونية والإرادة الشرعية . . . . .
23	2.5 الهداية الكونية والهداية الشرعية . . . . .
25	2.6 الميزان بمعنى العدل والميزان المخلوق . . . . .
27	2.7 الأصل في هذا الكون استقراره وثباته وتوازنه وبركته . . . . .
30	2.8 الظلم ينافي الميزان الكوني والميزان الشرعي . . . . .
32	2.9 المراد بالعلم والميزان . . . . .

33	2.10 أقسام الميزان الكوني . . . . .
33	2.10.1 الميزان السببي . . . . .
38	2.10.2 الميزان الغيبي . . . . .
44	2.11 أقسام الميزان الشرعي . . . . .
44	2.11.1 الميزان الفطري . . . . .
45	2.11.2 الميزان الديني . . . . .
47	2.12 الغاية من إرسال الرسل وإزالة الكتب . . . . .
49	2.13 مكانة أهل العلم الشرعي . . . . .
50	2.14 حال الأنبياء مع الميزان الشرعي . . . . .
53	2.15 حال الأمم مع الميزان . . . . .
57	2.16 الغاية من علم الحساب . . . . .
59	2.17 الحساب الصحيح من القسط . . . . .
59	2.18 الجهل بالحساب من الأمية . . . . .
60	2.19 الحساب الصحيح يبني على الوزن . . . . .
63	2.20 أمثلة حسابية من القرآن والسنة . . . . .
63	2.20.1 مكوث أهل الكهف . . . . .
64	2.20.2 مكوث الوحي من عيسى عليه السلام إلى محمد ﷺ . . . . .
65	2.20.3 عدد ساعات اليوم واللييلة . . . . .
67	2.20.4 نسبة الوقت في القرآن . . . . .

69	2.20.5 ظاهرة الغلاف الجوي . . . . .
69	2.20.6 ظاهرة تعاقب الليل والنهار . . . . .
69	2.20.7 ظاهرة توسع الكون . . . . .
71	2.20.8 ظاهرة المجال المغنطيسي . . . . .
73	3 الحكم الرشيد
73	3.1 مقدمة . . . . .
74	3.2 أركان الحكم الرشيد . . . . .
77	3.3 الحكم الرشيد في زمن الصحابة . . . . .
78	3.4 الحساب في زمن الحكم الرشيد . . . . .
83	3.5 عودة الحكم الرشيد في آخر الزمان . . . . .
83	3.6 معادلات . . . . .
84	3.7 نص الفصل الأول - الصفحة الثانية . . . . .
85	3.8 نص الفصل الأول - الصفحة الثالثة . . . . .
87	4 ميزان الله
87	4.1 مقدمة . . . . .
87	4.2 فضل الميزان . . . . .
89	5 التفكير في آيات الله الكونية
89	5.1 مقدمة . . . . .

5.2	التفكر في آيات الله الكونية . . . . .	89
6	الحساب الكوني	93
6.1	مقدمة . . . . .	93
6.2	جداول . . . . .	94
6.3	مراجع باستخدام BibTeX . . . . .	95
6.4	نص الفصل الثاني - الصفحة الثانية . . . . .	96
6.5	نص الفصل الثاني - الصفحة الثالثة . . . . .	97
7	الذكاء الاصطناعي	99
7.1	مقدمة . . . . .	99
7.2	المعرفة والوعي والإدراك . . . . .	99

## مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العزيز العليم فائق الحب والنوى خلق كل شئ بقدر معلوم فقدره تقديرا. فائق الإصباح وجعل الليل سكا والشمس والقمر حسبانا فقدر للقمر منازلنا وجعل الشمس تجري لمستقر لها وكل في فلك يسبحون. لا إله إلا هو وحده لا شريك له إيماننا بروبوبيته وتسليما وإقرارا بألوهيته وتصديقا بأسمائه وصفاته على الوجه الذي يحب ويرضى من غير تحريف ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل. بعث الرسل بالحق والميزان مبشرين ومنذرين وليبينوا للناس أمور دينهم ودنياهم ومن أجلها إقامة التوحيد بإفراده سبحانه وحده بالعبادة بالطريقة التي ارتضاها وإقامة الميزان بالقسط والعدل بين الناس. ومن رحمته أنه أرسل محمدا ﷺ خاتما للنبيئين وأنزل عليه القرآن هدى وبشرى للمتقين، أما بعد:

هذا كتاب ألفته لشرح علم الحساب في دقه وجليله سالكا بذلك مسلك أهل العلم السببي في فنون ووجوه علم الرياضيات والعلوم الطبيعية كالفيزياء وعلوم الحاسب كعلوم الآلة والذكاء الاصطناعي وما يمكن حسابه مقدما ببيان وتفصيل الأمور الدينية المهمة في العقيدة والتفسير لبيان أهمية الحساب في الحكم الرشيد متبعا في ذلك ما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد ﷺ وسبيل المؤمنين من

سلف هذه الأمة وعلماءها.

سميت هذا الكتاب: "الحساب الصحيح من بنیان الحكم الرشيد". فالحساب هو وسيلة يحتاجها الناس لغايات عديدة منها ما هو فرض، ومنها ما هو نافع، ومنها ما هو بخلاف ذلك. فالحساب هو مفتاح العلوم الكونية وهو السبيل لفهمها وبه تكشف العديد من حقائق وأسرار هذا الكون. فإن كانت الغاية من هذا الحساب هي منفعة الناس بالعموم في أمور دينهم ودنياهم وإقامة الميزان الشرعي الذي أمر الله به بالوسط والعدل كان هذا الحساب صحيحا وكان من بنیان الحكم الرشيد وكان سببا في الزيادة في الإيمان وإقامة العدل بين الناس وسبيلا للتطور العلمي والحضاري وقوة في دحر الأعداء ونشر الحق ونصرته.

اسئل الله العلي العظيم أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يبارك فيه ويجعله سببا لعودة أمة الإسلام إلى الطريق المستقيم وأن يجعل دعوتنا دعوة الراشدين في العلم كما في قوله تعالى: وَالرَّاشِقُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ آل عمران. اللهم اجعل دعائنا كدعاء نبينا ﷺ كما جاء عن عائشة أم المؤمنين أن النبي ﷺ كان إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: اللَّهُمَّ رَبِّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (صحيح مسلم). وكما جاء أيضا عن عائشة أم المؤمنين أن النبي ﷺ علمها هذا الدعاء: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ



بِكَ مِنَ النَّارِ وما قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا (صحيح ابن ماجه وصححه الألباني). وكما جاء عن أم المؤمنين أم سلمة أن أكثر دعاء نبيينا ﷺ كان: اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك (صحيح الترمذي وصححه الألباني). وكما جاء عن عبدالله بن عمر أن نبيينا ﷺ قلَّما يقوم من مجلس حتى يدعو هؤلاء الدعوات لأصحابه: اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، اللهم متعنا بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا (صحيح الترمذي).

اللهم اعنا على إقامة الحق واجعلنا من المهتدين، واعنا على إقامة الميزان واجعلنا من المقسطين، واهدنا إلى الرشاد واجعلنا من المصلحين، وزدنا علما واجعلنا من المتقين. اللهم اهدنا إلى الإسلام واجعلنا من الذاكرين، واهدنا إلى الإيمان واجعلنا من المخلصين، واهدنا إلى الإحسان واجعلنا من الموقنين. اللهم ربنا وازقنا الصلاح والصبر واليقين والهدى والتقى والعفاف والغنى واجعلنا من الشاكرين والفائزين، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات فأنت سبحانك أرحم الرحمن. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

# الميزان الكوني والميزان الشرعي

## 2.1 المقدمة

علم الحساب من العلوم التي تدرك بالعقل والفطرة وقد يكون هو العلم الوحيد الذي يكاد لا يختلف عليه البشر بكافة أجناسهم وألوانهم وبالأخص لمن عرف هذا العلم وتمعن فيه صدقا. وذلك لأن الله جل جلاله خلق كل شيء بقدر معلوم ووضع الميزان الكوني فجعل هذا الكون موزونا ومتناسقا سبحانه. ومن فضله ومنه علي الناس أنه أرسل إليهم الرسل وأنزل الكتب بالحق والميزان الشرعي. ومن حكمته أنه سبحانه فطر الناس على فهم الميزانين وجعل لهم كل ما يحتاجونه من عقل وسمع وبصر. فجعل سبحانه آياته الكونية دليلا على الميزان الكوني وآياته الشرعية دليلا على الميزان الشرعي. وأرشد سبحانه إلى التأمل في آياته الكونية لتعلم العدد والحساب وهذا لحكمته سبحانه فالعدد والحساب يدرك بالعقل والفطرة ولهذا اكتفى سبحانه بالدلالة عليه. أما الميزان الشرعي فهو لا يدرك بالعقل والفطرة فقط وإنما يدرك بالوحي المنزل من عنده سبحانه. والله جل جلاله تكفل بإقامة الميزان الكوني وأرسل الرسل وأنزل الكتب وفرض على الناس إقامة الميزان الشرعي. ولما كان الحساب هو

الوسيلة لمعرفة الحقائق وضبطها والطريق لمعرفة الأسباب وربطها وجب النظر والبحث فيه وتعلمه من آيات الله الكونية لفهمها لما في ذلك من مصالح دينية ودنيوية كما أرشد سبحانه في كتابه العظيم في قوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ يونس. وفي قوله تعالى: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَسَبُوا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانُهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ الإسراء..

## 2.2 الميزان الكوني

جعل الله جل جلاله الميزان في آياته الكونية لحكمته وعدله سبحانه. ولهذا فإن الميزان الكوني أمره عظيم عند الله فعن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ "يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفْقَةٌ، سَخَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِيضْ مَا فِي يَدِهِ، عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ" (صحيح البخاري). وهذا فيه أن الميزان الكوني بيده سبحانه فهو قائم عليه بالقسط والعدل لا تأخذه في ذلك سنة ولا نوم، ولهذا كانت آية الكرسي أعظم آية فقد قال سبحانه: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ الْبَقَرَةُ. وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يَرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ حِجَابُهُ النَّورُ. (رواه مسلم وصححه الألباني). وهذا فيه أن الله عز وجل كامل في صفاته لا يلحقه نقص وهذا لازم لإقامة الوجود إذ يتعذر على غيره إقامة الميزان الكوني كما دلت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث. وقد جاء في تفسير ابن كثير أن قوله:

( لا تأخذه سنة ولا نوم ) أي: لا يعثره نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه بل هو قائم على كل نفس بما كسبت شهيد على كل شيء لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه خافية ، ومن تمام القيومية أنه لا يعثره سنة ولا نوم ، فقلوه: ( لا تأخذه ) أي: لا تغلبه سنة وهي الوسن والنعاس ولهذا قال: ( ولا نوم ) لأنه أقوى من السنة، [٥] وقوله: ( ولا يؤده حفظهما ) أي: لا يثقله ولا يكرهه حفظ السماوات والأرض ومن فيهما ومن بينهما ، بل ذلك سهل عليه يسير لديه وهو القائم على كل نفس بما كسبت ، الرقيب على جميع الأشياء ، فلا يعزب عنه شيء ولا يغيب عنه شيء والأشياء كلها حقيرة بين يديه متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه ، محتاجة فقيرة وهو الغني الحميد الفعال لما يريد ، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. وهو القاهر لكل شيء الحسيب على كل شيء الرقيب العلي العظيم لا إله غيره ولا رب سواه [هـ].

وبهذا يتبين أن الميزان الكوني بيد الله سبحانه وتعالى وهو قائم عليه بالقسط والعدل يخفضه ويرفعه كما في قوله تعالى: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوَّلُ الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ آل عمران. وهو الحي القيوم ولا ينام ولا ينبغي له أن ينام وهذا لازم لوجود الكون فهو مديره سبحانه وهو مالكة. وبهذا يعلم بالضرورة أن هذا الميزان الكوني وجد مع خلق السموات والأرض ووضعه جل جلاله في يده بعد ما رفع جل جلاله السماء. وكل ذلك إنما كان بعد خلق القلم واللوح والعرش والماء، فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ. ومن مات على غير هذا فليس مِنِّي (صحيح أبي داود وصححه الألباني). وهذا فيه أن الله خلق القلم أولاً ثم خلق اللوح المحفوظ وأمر جل جلاله القلم أن يكتب على اللوح المحفوظ المقادير كلها إلى قيام الساعة. وكل هذا كان قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه جل جلاله على الماء كما صح ذلك

عن النبي ﷺ أنه قال: كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِمِائَةِ أَلْفِ سَنَةٍ، وَعَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ (صحيح مسلم). وسماها الله جل جلاله المقادير لأنه قدرها وعرف قدرها بعلبه وحكمته وعده ورحمته سبحانه حتى يقوم بنفسه على ذلك في الميزان الكوني الذي وضعه سبحانه في يده بعد رفع السماء كما في قوله تعالى: وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ الرحمن. فيكون المعنى هنا الميزان الذي وضعه الله في يده بعد رفع السموات وهو الميزان الكوني ويحتل أيضا الميزان الذي وضعه للكافرين من خلقه من الإنس والجن وهو الميزان الشرعي كما في باقي الآيات الكريمة في قوله تعالى: أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ الرحمن.

وكل هذا فيه أن الله جل جلاله قد جعل الميزان الكوني سببا لاستقامة السموات والأرض وصلاحيهما كما في قوله تعالى: وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ المؤمنون. يقول السعدي في تفسيره: ووجه ذلك أن أهواءهم متعلقة بالظلم والكفر والفساد من الأخلاق والأعمال، فلو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض، لفساد التصرف والتدبير المبني على الظلم وعدم العدل، فالسماوات والأرض ما استقامتا إلا بالحق والعدل [هـ]. وبهذا يعلم بالضرورة أن الميزان الكوني قد وجد عند خلق السموات والأرض حتى يقيمه الله بعدله. وهذا فيه أيضا أن السموات والأرض تفسد بالظلم وهذا لا يكون لأن الله أقام الميزان الكوني بالعدل. ولا يعلم صورة هذا الميزان ولا وصفه إلا بما وصفه الله جل جلاله ورسوله ﷺ ومن ذلك أن الله وضعه في يده ويخفض به ويرفع وهو قائم عليه بنفسه كما قال الرسول ﷺ: ما من قلبٍ إلا وهو معلقٌ بينَ إصبعينِ منْ أصابعِ الرحمنِ، إن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه، والميزان بيد الرحمن، يرفعُ أقواماً، ويخفضُ آخرينَ، إلى يومِ القيامةِ (صحيح، الجامع الصغير). وهذا فيه أن هذا الميزان هو الميزان الكوني التابع لإرادة الله الكونية وهو غير الميزان الشرعي التابع لإرادة

الله الشرعية كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

فالميزان الكوني قد تكفل به سبحانه وهو دليل على عظمته وقدرته إذ يتعذر على غيره العيش من دونه فضلاً عن إقامته، ومن ذلك أن الله عدل في قضاءه ومشيئته وحليم في تدييره والدليل على هذا قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ۚ وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ فاطر. فهذا دليل على وحدانيته سبحانه بالملك والتدبير، فالأدلة العقلية والشرعية دلت على وحدانيته سبحانه ومن ذلك أنه جعل هذا الكون موزوناً ومتناسقاً بإرادته الكونية لا يشاركه في ذلك أحد كما في قوله تعالى: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ الأنبياء. وقد جاء في تفسير السعدي في شرح هذه الآيات أن العالم العلوي والسفلي، على ما يرى، في أكل ما يكون من الصلاح والانتظام، الذي ما فيه خلل ولا عيب، ولا ممانعة، ولا معارضة، فدل ذلك، على أن مديره واحد، وربّه واحد، وإلهه واحد، فلو كان له مديران وربان أو أكثر من ذلك، لاختل نظامه، وتقوضت أركانه فإيهما يتمانعان ويتعارضان، وإذا أراد أحدهما تدبير شيء، وأراد الآخر عدمه، فإنه محال وجود مرادهما معاً، ووجود مراد أحدهما دون الآخر، يدل على عجز الآخر، وعدم اقتداره واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور، غير ممكن، فإذا يتعين أن القاهر الذي يوجد مراده وحده، من غير مناع ولا مدافع، هو الله الواحد القهار، ولهذا ذكر الله دليل التمانع في قوله: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ المؤمنون [هـ].

## 2.3 الميزان الشرعي

ومن حكمته سبحانه وتعالى أنه تكفل بإقامة الميزان الكوني وفرض على المكلفين من الجن والإنس إقامة الميزان الشرعي كما في قوله: وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ الرحمن. وقد جاء في تفسير السعدي أن معنى ووضع الله الميزان أي: العدل بين العباد، في الأقوال والأفعال، وليس المراد به الميزان المعروف وحده، بل هو كما ذكرنا، يدخل فيه الميزان المعروف، والمكيال الذي تكال به الأشياء والمقادير، والمساحات التي تضبط بها المجهولات، والحقائق التي يفصل بها بين المخلوقات، ويقام بها العدل بينهم [هـ]. وهذا بالتأكيد يشمل الحساب والذي به تحسب المقادير وتضبط المجهولات فهو أيضا صورة من صور الميزان. وكل هذا فيه أن الله عز وجل فرض على المكلفين من الإنس والجن إقامة الميزان الشرعي في قوله تعالى "ألا تطغوا في الميزان، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان". وفيه أيضا أن الله عز وجل جعل العدل في آياته الشرعية كما في آياته الكونية وهذا دليل على حكمته وعدله وكماله سبحانه.

إن المقصود والمراد من إقامة الميزان بالمجمل هي إقامة الميزان الشرعي وهو العدل في جميع الأقوال والأفعال وهذا يشمل العبادات التي يحبها الله ويرضاها والتي أمر الله عباده بها عن طريق الرسل والكتب ومن ذلك إقامة الميزان والكيل بالقسط والصدق في القول والعمل ومنه بلا شك الحساب الصحيح. وبهذا يتبين أن الميزان الشرعي، حاله كحال الحق، هو من الأمانة في قوله تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ الأحزاب. وفي تفسير ابن كثير: قال العوفي عن ابن عباس يعني بالأمانة الطاعة [و]. وقال قتادة الأمانة الدين والفرائض والحدود [هـ].



الميزان الشرعي هو أيضا من الميثاق الذي ذكره الله في قوله: **وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي**  
**وَاتَّقَمَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا** <sup>ج</sup> **وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴿٧﴾ المائدة. يقول السعدي  
 في تفسيره رحمه الله: **و مِيثَاقُهُ أَي: واذكروا ميثاقه الَّذِي وَاتَّقَمَكُمْ بِهِ أَي: عهده الذي أخذه عليكم.**  
 وليس المراد بذلك أنهم لفظوا ونطقوا بالعهد والميثاق، وإنما المراد بذلك أنهم بإيمانهم بالله ورسوله قد  
 اتزموا طاعتهما، ولهذا قال: **إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا أَي: سمعنا ما دعوتنا به من آياتك القرآنية والكونية،**  
**سمع فهم وإذعان واتباع.** وأطعنا ما أمرتنا به بالامتثال، وما نهيتنا عنه بالاجتناب. وهذا شامل لجميع  
 شرائع الدين الظاهرة والباطنة. وأن المؤمنين يذكرون في ذلك عهد الله وميثاقه عليهم، وتكون منهم على  
 بال، ويحرصون على أداء ما أمرُوا به كاملا غير ناقص. **وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ**  
**بِذَاتِ الصُّدُورِ أَي: بما تتطوي عليه من الأفكار والأسرار والخواطر.** فاحذروا أن يطلع من قلوبكم  
 على أمر لا يرضاه، أو يصدر منكم ما يكرهه، واعمروا قلوبكم بمعرفته ومحبته والنصح لعباده. فإنكم -إن  
 كنتم كذلك- غفر لكم السيئات، وضاعف لكم الحسنات، لعلمه بصلاح قلوبكم [هـ].

ولهذا فإن الميزان الشرعي يعتبر من الأمانة والميثاق الذي واثق الله به المؤمنين وأمرهم به ليجزى  
 كل نفس بما كسبت. وبهذا يتبين أن الميزان المخلوق الذي يوضع بعد الصراط يوم القرامة إنما هو  
 الميزان الشرعي وهذا من عدل الله إذ جعل الميزان الذي يوزن به الناس يوم القيامة هو الميزان الشرعي  
 الذي كلفهم به. وقد صح عن الرسول ﷺ أن هذا الميزان يوضع في صورة مخلوق بعد الصراط فعن  
 أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ: **أَنَا فَاعِلٌ، قُلْتُ: يَا**  
**رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ، قَالَ: أَطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ.** قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ،  
 قَالَ: **فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ.** قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ، قَالَ: **فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لَا أَخْطِئُ**  
**هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمَوَاطِنَ (صحيح الترمذي وصححه الألباني).** وهذا فيه أن الميزان الشرعي يوضع في صورته بعد

الصراط مباشرة وقبل الحوض. وقد صح عن أحد أصحاب النبي ﷺ أنهم رأى هذا الميزان الشرعي في منامه كما جاء عن النبي ﷺ أنه ذات يوم قال لأصحابه: من رأى منكم رؤيا؟ فقال رجل: أنا، رأيت كأن ميزانا نزل من السماء فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ فَرِحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ فَرِحَ أَبُو بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرِحَ عُمَرُ، ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ. فَأَرَيْنَا الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (صحیح أبي داود، وصححه الألباني). وهذا فيه بيان الميزان الشرعي الذي رح بحسب من فضل الله به النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم.

والأدلة في وصف الميزان الشرعي ووصف حال المكلفين وهم يوزنون عليه كثيرة ومنها قوله تعالى: وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ الْأَعْرَافُ. وقال تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَخَبَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ الْكَهْفُ. وقال تعالى: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّا بِمَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ الْأَنْبِيَاءُ. وقال تعالى: فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ الْمُؤْمِنُونَ. وقال تعالى: فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمَّهُ هَادِيَةٌ ﴿٩﴾ الْقَارِعَةُ. فكل ذلك فيه وصف حال وأحوال الناس وأعمالهم على هذا الميزان الشرعي الذي كلف جل جلاله المكلفين به من الجن والإنس فنسأل الله العفو والعافية. اللهم فاعف عنا وارحمنا وتجاوز عن سيئاتنا. اللهم ارحمنا فأنت أرحم الراحمين.

ولهذا فإن هذا الميزان الشرعي موافق لما شرعه الله تعالى وقد وصف النبي ﷺ وزن الأعمال الصالحة في هذا الميزان الشرعي ومن ذلك قوله: ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق،

وإنَّ صاحبَ حُسْنِ الخلقِ ليلبُغُ بِهِ درجةَ صاحبِ الصَّومِ والصَّلَاةِ (صحيح الترمذي، وصحه الألباني). وقال أيضاً: كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ (صحيح البخاري، وصحه الألباني). وقال أيضاً: الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَنَّ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ (صحيح مسلم). وقد جاء أيضاً أن النبي ﷺ أمرَ عبدَ اللَّهِ بنَ مسعودٍ أن يصعدَ شجرةً فيأتيه منها بشيءٍ، فنظرَ أصحابُه إلى ساقِ عبدِ اللَّهِ فضحكوا من حُوشَةِ سَاقِيهِ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: مِمَّا تَضْحَكُونَ! لَرَجُلٍ عبدِ اللَّهِ أثقلُ في المِيزَانِ من أحدٍ (السلسلة الصحيحة للألباني). وضح أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال: خَصْلَتَانِ لَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، أَلَا وَهُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ، يُسَبِّحُ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَيَحْمَدُهُ عَشْرًا، وَيُكَبِّرُهُ عَشْرًا، فَذَلِكَ تَحْسُونَ وَمِائَةً بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ. وَيُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ، وَيَحْمَدُهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ، فَأَيْكُمْ يَعْمَلُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسُمِائَةٍ سَيِّئَةٍ (صحيح الجامع، وصحه الألباني). وقد جاء أيضاً أن النبي ﷺ قال: نَجَّ نَجَّ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ. وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَقَّى لِلرَّءِ فِيحْتَسِبُهُ (صحيح المسند للوادعي، والسلسلة الصحيحة للألباني). وقال أيضاً ﷺ: لو أَنَّ عِلْمَ عَمْرٍ بنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَضِعَ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ، وَوُضِعَ عِلْمُ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي كِفَّةٍ، لَرَجَحَ عِلْمُ عَمْرٍ بنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (صحه الألباني). والمراد هنا علم عمر الشرعي وهذا فيه فضل عمر رضي الله عنه. فكل ذلك فيه أن المراد في كل هذه الأحاديث هو الميزان الشرعي والذي يوافق أمر الله الشرعي لما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال وهو بخلاف الميزان الكوني الذي جعله الله بيده لتدبير الكون كما تقدم.

## 2.4 الإرادة الكونية والإرادة الشرعية

قرر أهل العلم الشرعي من أهل السنة والجماعة في هذا الباب العظيم وبناء على الأدلة والبراهين الواضحة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما يوافق العقل والنقل، أن الله جل جلاله له أرادتان وهما الإرادة الكونية والإرادة الشرعية. فالإرادة الكونية هي ما تعلق بمشيئته سبحانه والإرادة الشرعية هي ما تعلق بمحبته ورضاه. فإرادة الله الكونية نافذة كما في قوله تعالى: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ يس. وأما الإرادة الشرعية فهي إرادة بيان لما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال كما في قوله تعالى: يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتَوَبَّ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتَوَبَّ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ النساء.

ولما كان الله عز وجل فعال لما يريد كما في قوله تعالى: فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ النحل. كان قضاءه تابعا لإرادته أي سبحانه له كذلك قضاء كوني وقضاء شرعي. فالقضاء الكوني هو ما أراده الله كونا فشاء أن يكون فكان بعزته وعلمه وقدرته سبحانه كما في قوله تعالى في هذه الآيات: بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ البقرة. وأما قضاءه الشرعي فهو ما أراده الله شرعا فأمر الله عباده به مثل قوله تعالى: وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَقِ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ الإسراء. فلو كان هذا قضاء كونيا لكان الناس أمة واحدة على التوحيد ولكن الله نفى ذلك بقضائه الكوني أي بمشيئته الكونية كما في قوله تعالى: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَلَتَسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ النحل. ومن ذلك أيضا قوله تعالى:

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ الأحزاب. فهذا أيضا من القضاء الشرعي ووجه ذلك أنه سبحانه ألزمهم بإتباع أمره الشرعي لأن ذلك من مقتضيات الإيمان ولهذا جاء التحذير في نهاية الآية لمن خالف وعصى أمر الله ورسوله، فلو كان هذا قضاء كونيا لكان ما أَرَادَهُ اللهُ ولم يسع لأحد أن يختار شيئا من ذلك حيث أن أمر الله الكوني نافذ لا محالة.

وكذلك حكم الله تابعا لإرادته وله سبحانه الحكم الكوني وهو تابع لأرادته الكونية والحكم الشرعي وهو تابع لإرادته الشرعية كما في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ المائدة، وهذا في الحكم الشرعي كما دل سياق الآية. وقوله تعالى: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ الرعد. ويدخل في هذا حكمه الشرعي والقدري (أي الكوني) والجزائي كما جاء في تفسير السعدي رحمه الله.

فحكم الله وقضاه وأمره الكوني نافذ وماض بإرادته الكونية وبما شاء وهو عدل في ذلك لا يشاركه فيه غيره سبحانه كما قال تعالى: وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ غافر. وقد جاء في تفسير ابن كثير أن قوله: ( والله يقضي بالحق ) أي: يحكم بالعدل، وقوله: ( والذين يدعون من دونه ) أي: من الأصنام والأوثان والأنداد ، ( لا يقضون شيء ) أي: لا يملكون شيئا ولا يحكمون بشيء [هـ]. وكما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك» (أخرجه أحمد وصححه الألباني).

وفي كل ذلك فإن الله هو أحكم الحاكمين كما في قوله تعالى: أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾ التين. وهو أيضا خير الحاكمين كما في قوله: وَاتَّبِعْ مَا يوحى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ

﴿١٠٩﴾ يونس. فالحكم كله لله تعالى ومنه الحكم الجزائي وهو سبحانه خير الفاصلين كما في قوله تعالى: **إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ** ﴿٥٧﴾ الأنعام. وذلك لأن الله عز وجل عدل في إرادته وحكمه وقضائه العدل التام المنافي للظلم والدليل قوله تعالى: **تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ** <sup>ق</sup> وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ آل عمران. ومن ذلك أن الله عدل في جزاءه وثوابه كما أخبر هو بذلك في قوله تعالى: **وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴿٦٩﴾ الحاقة. وقوله تعالى: **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ** <sup>ط</sup> **فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴿٤٧﴾ يونس.

وقد ثبت في السنة أن الله عز وجل حرم الظلم على نفسه في حكمه الكوني وعلى عباده في حكمه الشرعي فعن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى، أنه قال: يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا، يا عبادي، كلُّكم ضالٌّ إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي، كلُّكم جائعٌ إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي، كلُّكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا على قلبي رجلٍ واحدٍ منكم، ما زاد ذلك في مُلْكِي شيئاً، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا على أجلي رجلٍ واحدٍ، ما نقص ذلك من مُلْكِي شيئاً، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص الخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيقكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه. وفي رواية: إني حرمت على نفسي الظلم وعلى عبادي،

فَلَا تَظَالُمُوا. (صحيح مسلم).

وهذا فيه أن الله جل جلاله لم يحرم الظلم على عباده كونا بل حرمه شرعا وهذا من حكمته سبحانه فقد بين حكمه الشرعي للمكلفين حتى يغفر لمن يشاء برحمته ويعذب من يشاء بعدله في حكمه الجزائي كما في قوله تعالى: وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤١﴾ الفتح. وقد جاء في تفسير السعدي أن معنى ذلك أن الله تعالى هو المنفرد بملك السماوات والأرض، يتصرف فيهما بما يشاء من الأحكام القدريّة، والأحكام الشرعيّة، والأحكام الجزائيّة، ولهذا ذكر حكم الجزاء المرتب على الأحكام الشرعيّة، فقال: يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وهو من قام بما أمره الله به وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ممن تهاون بأمر الله، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا أي: وصفه اللازم الذي لا ينفك عنه المغفرة والرحمة، فلا يزال في جميع الأوقات يغفر للمذنبين، ويتجاوز عن الخطائين، ويتقبل توبة التائبين، وينزل خيره المدرار، آناء الليل والنهار [هـ]. فهذا الحكم الجزائي مرتبط بالهداية فيغفر لمن يشاء بأن يهديه للإسلام والطاعة ويعذب من يشاء بأن يكله إلى نفسه الجاهلة الظالمة المقتضية لعمل الشر فيعمل الشر ويعذب على ذلك كما جاء بيان ذلك في تفسير السعدي رحمه الله.

## 2.5 الهداية الكونية والهداية الشرعية

وكما أن الله عز وجل له إرادتان الكونية والشرعية فإن له سبحانه أيضا هديتان وهما الهداية الكونية وهي هداية التوفيق والإنقياد والهداية الشرعية وهي هداية المعرفة والإرشاد. واجتمعت الهديتان في قوله تعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ الشورى. ووجه

ذلك أن الله عز وجل يهدي من يشاء ومن يريد فهذه الهداية المرتبطة بمشيئته وإرادته سبحانه هي الهداية الكونية وقد وردت في عدة مواضع في القرآن منها قوله تعالى: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ القصص. وفي قوله تعالى: وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿١٦﴾ الحج. وأما الهداية الأخرى في قوله تعالى: (وَأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) فهي المرتبطة بمعرفة الحق وهي الهداية الشرعية وقد وردت أيضا في عدة مواضع في القرآن منها قوله تعالى: يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتَوَبَّ عَنْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ النساء. وهذه الهداية تكون مرتبطة بالوحي وهي هداية بيان للحق كما في قوله تعالى: وَبَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ الأنعام.

وبهذا يتبين أن كل المخلوقات مسيرين بإرادة الله الكونية وأن المكلفين منهم من الجن والإنس مخيرين بإرادة الله الشرعية. ولكن الله عز وجل جعل لهدايته الكونية مسببات منها الإنابة إليه كما في قوله تعالى: اللَّهُ يُجْتَبَى إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ الشورى. وقوله تعالى: وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٢٧﴾ الرعد. ومن ذلك أيضا الإيمان بالله والأعتصام به كما في قوله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ النساء. ومن ذلك أيضا إتباع أمر الله الشرعي الذي يحبه الله ويرضاه كما في قوله تعالى: يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ المائدة. وهذا كله من عدل الله ورحمته سبحانه. ومن أسباب الهداية والثبات الدعاء فإن أكثر دعاء نبينا ﷺ كان في ثبات القلب كما جاء عن أم سلمة أن أكثر دعائه كان: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَكْثَرُ دَعَاكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا



وَقَلْبُهُ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ . فَنَلَا مَعَاذَ رَبِّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا (صحيح الترمذي وصححه الألباني). وهذا فيه أن الله جل جلاله يقلب القلوب بين أصابعه بإرادته الكونية وأن الدعاء قد يكون سببا للهداية الكونية والتي بها يكون الثبات على الدين والطاعة.

ومن أعظم أسباب الهداية هي الجهاد في سبيل الله كما في قوله تعالى: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ العنكبوت. وقد جاء في تفسير السعدي قوله: دل هذا، على أن أخرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد، وعلى أن من أحسن فيما أمر به أعانه الله ويسر له أسباب الهداية، وعلى أن من جد واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية، خارجة عن مدرك اجتهداه، وتيسر له أمر العلم، فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نَوْعَي الجهاد، الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق، وهو الجهاد بالقول واللسان، للكفار والمنافقين، والجهاد على تعليم أمور الدين، وعلى رد نزاع المخالفين للحق، ولو كانوا من المسلمين [هـ].

## 2.6 الميزان بمعنى العدل والميزان المخلوق

وكما أن الله عدل في إرادته الكونية فهو أيضا عدل في إرادته الشرعية. وبهذا يكون الميزان الكوني تابعا لإرادة الله الكونية والميزان الشرعي تابعا لإرادة الله الشرعية. ومن صفات الله أنه عدل في إرادته الكونية والشرعية، وبهذا يكون العدل مرادفا للميزان، فيكون الميزان الكوني هو العدل في إرادة الله الكونية والميزان الشرعي هو العدل في إرادة الله الشرعية.

ولكن الله عز وجل جعل الميزانان كل منهما في صورة مخلوق لحكمته ولإظهار عدله سبحانه،

نخلق سبحانه الميزان الكوني ووضعه بيده والذي فيه تدبيره للكون وهو قائماً عليه بالقسط كما في قوله تعالى: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ آل عمران. ويخلق سبحانه الميزان الشرعي يوم القيامة ويضعه لحساب المكلفين وأعمالهم كما في قوله تعالى: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ الأنبياء.

وبهذا يعلم بالضرورة أن الميزان الكوني المخلوق الذي يضعه الله جل جلاله في يده كما صح ذلك عن النبي ﷺ فيه شأن الله وتدبيره لهذا الكون بما في ذلك السماوات والأرض، وأما الميزان الشرعي المخلوق الذي يوضع بعد الصراط وقبل الحوض كما صح ذلك عن النبي ﷺ فيه شأن حساب المكلفين وأعمالهم يوم القيامة، فلزم بذلك أن يكون الميزان الكوني المخلوق أعظم من الميزان الشرعي المخلوق، وكل منهما من عدل الله ورحمته. وهذا لأن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق الناس كما في قوله تعالى: نَخْلُقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ غافر. فكل هذا فيه أن شؤون الخلق ومن ذلك البعث والحساب أهون على الله جل جلاله كما في قوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ الروم. وهذا فيه بيان أن التفاوت هنا في قوله (وهو أهون عليه) ليس في ذات الله فهو سبحانه على كل شيء قدير ولا يعجزه شيء ولكن هذا التفاوت في الموازين وعظمها. والله أعلى أعلم.

## 2.7 الأصل في هذا الكون استقراره وثباته وتوازنه وبركته

من المعلوم بالضرورة وما دلت عليه البراهين الشرعية والعقلية أن الأصل في هذا الكون استقراره وثباته وتوازنه وبركته حتى يصلح للحياة ومن ذلك أن الله عز وجل جعل الأرض مستقرة وثابتة ومبسوطة والجبال أوتادا والسماء مرفوعة والسحاب ممطرة والرياح مسخرة والفلك والأنهار جارية والبحار محسورة والشمس سراجا والقمر نورا والنهار معاشا والليل سكا والنجوم دليلا والشجار مثمرة والدواب متحركة وسائر المخلوقات المتنوعة وغيرها من الآيات العظيمة الدالة عليه والمرشدة إليه. فكل ذلك من آيات الله الكونية الدالة على عظمته وحكمته سبحانه والتي أراد الله منا بإرادته الكونية أن نراها وإيرادته الشرعية أن نتدبر فيها ونتمتع في تفاصيلها بما أودع فينا من عقل وفطرة. وقد قال تعالى في ذلك: وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرُكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ النمل. وقوله تعالى: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ فصلت.

والآيات في ذلك عديدة ومنها قوله تعالى: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا جِبَالًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ الْأَنْبِيَاءُ. وقوله تعالى: وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَنَسُوا حَاقًّا فَنُحِيلُهَا لَحْمًا وَغَضًّا وَجُفْرًا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ

اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ يس. وقوله تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ البقرة. وقوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ الأنعام.

وكل هذا فيه المحجة البالغة العقلية والشرعية على استحقاق الله جل جلاله للعبادة وحده لا شريك له بالطريقة التي ارتضاها ومن ذلك وجوب تسبيحه وتقديسه بأسمائه وصفاته بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل إذ قال جل جلاله: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ جَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾ الأعلى. وجاء في تفسير السعدي في بيان معنى هذه الآيات أنه تعالى يأمر بتسبيحه المتضمن لذكره وعبادته، والخضوع لجلاله، والاستكانة لعظمته، وأن يكون تسبيحا، يليق بعظمة الله تعالى، بأن تذكر أسمائه الحسنى العالية على كل اسم بمعناها الحسن العظيم. الذي خلق فسوى أي: أتمنها وأحسن

خلقها وَالَّذِي قَدَّرَ تقديراً، تتبعه جميع المقدرات فَهَدَى إلى ذلك جميع المخلوقات. وهذه الهداية العامة، التي مضمونها أنه هدى كل مخلوق لمصلحته، وتذكر فيها نعمه الدنيوية، ولهذا قال فيها: وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى أي: أنزل من السماء ماء فأنبث به أنواع النبات والعشب الكثير، فرتع فيها الناس والبهائم وكل حيوان، ثم بعد أن استكمل ما قدر له من الشباب، ألوى نباته، وصوح عشبته. جَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى أي: أسود أي: جعله هشيماً رميمًا، ويذكر فيها نعمه الدينية [هـ]. فتبارك الله أحسن الخالقين.

فلولا ثبات الكون واستقراره وبركته لما صلح للحياة ولما كانت الحياة ممكنة ومستقرة ومنظمة ومنتجة. ولهذا فإن الإنسان يعيش في هذا الكون ويستفيد منه ومن ثماره ونعمه وبركاته وموارده ومعادنه وغيرها من الأشياء التي جعلها الله في هذا الكون ليستفيد منها بفضلِهِ ورحمته ومنه علينا. وفي ثبات الكون واستقراره غايات عظيمة ومصالح كثيرة ومن أهمها تعلم العدد والحساب كما في قوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ يونس.

فكل هذه الآيات واضحة في دلالتها على عظمة الخالق وحكمته وعدله ورحمته. ولهذا فقد ذكر الله عز وجل أن آياته لقوم يعقلون، يعلمون، يفقهون، يؤمنون، يوقنون، أو يتفكرون، وهم أولي الألبات الصادقين حقاً مع أنفسهم ومع خالقهم بما أودعه فيهم من هداية وبصيرة بفضلِهِ ومنه عليهم. وهم الذين آمنوا بالله حقاً على يقين ولم يرتابوا وجاهدوا في الله لنصرة الحق كما في قوله تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ الحجرات. ولهذا ما ينكر هذه الآيات الواضحة إلا المعاندين لها والكافرين بها والمشككين فيها والمعرضين عنها وعن خالقهم كفراً وعدواناً وظلماً. ولهذا فقد سтамهم الله جل جلاله العمي وحجب

عنهم الهداية الكونية ونفى عنهم اليقين بعدله سبحانه فقال لنبيه: وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ <sup>ط</sup> إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ النمل. وهم الذين يجادلون في آيات الله بالباطل فطبع الله على قلوبهم كما في قوله تعالى: الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ غافر. وقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ <sup>ط</sup> إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ غافر. فهم تكبروا عن قبول الحق لكفرهم كما قال تعالى: مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾ غافر.

## 2.8 الظلم ينافي الميزان الكوني والميزان الشرعي

ومن عدله وحكمته سبحانه أنه جعل الظلم منافيا ومخالفا للميزان الشرعي كما جعله سبحانه منافيا للميزان الكوني. فهذا فيه أن الكون محفوظ بإمر الله الكوني وبعده ولكن هذا الحفظ والاستقرار إنما جعله الله برهانا واضحا على ربوبيته وألوهيته حتى يقيم المكلفين الحق والميزان الشرعي، ولكن الله جعل الظلم من أسباب البلاء الذي يقع بإذنه إما لحكمته أو عدله أو رحمته. ويقع هذا البلاء في صور مختلفة منها الجوع والخوف وقلة المطر والزلازل وذهاب البركة وغير ذلك. ومن أعظم ذلك الكفر بالله كالشرك أو دعوة الولد له سبحانه والدليل قوله تعالى: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ مريم. يقول السعدي رحمه الله: أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ أَي: من أجل هذه الدعوى البسيطة

تَكَادُ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ، أَنْ يَكُونَ مِنْهَا مَا ذَكَرَ. وَالْحَالُ أَنَّهُ: مَا يَتَّبِعِي أَيُّ: لَا يَلِيقُ وَلَا يَكُونُ لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا وَذَلِكَ لِأَن تَخَاذَهُ الْوَلَدَ، يَدُلُّ عَلَى نَقْصِهِ وَاحْتِيَاجِهِ، وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ. وَالْوَلَدُ أَيْضًا، مِنْ جِنْسِ وَالِدِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا مِثْلَ وَلَا سَمِي [هـ].

وهذا فيه أن الشرك ونسبة الولد لله سبحانه هو من الإخلال بالميزان الشرعي الذي أمر الله به وسببا لإخلال بالميزان الكوني فيكاد يحصل الإضراب الذي به يكون خراب هذا الكون. وقد صح عن ابن عباس وأبو هريرة عن النبي ﷺ أن الله قال: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَّيْنِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ؛ فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَرَعَمَ إِنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتُّهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا. وفي رواية أخرى: أَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي لَنْ أُعِيدَهُ كَمَا بَدَأْتُهُ، وَأَمَّا شَتُّهُ إِيَّايَ أَنْ يَقُولَ: أَتَّخِذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ أَدْ وَلَدٌ وَلَمْ أُؤَلَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) (صحيح البخاري).

ومما ينافي عدل الله الكوني والشرعي أيضا اتباع الهوى بدلا من إقامة الحق ونصرته كما في قوله تعالى: وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ المؤمنون. يقول السعدي في تفسيره: ووجه ذلك أن أهواءهم متعلقة بالظلم والكفر والفساد من الأخلاق والأعمال، فلو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض، لفساد التصرف والتدبير المبني على الظلم وعدم العدل، فالسماوات والأرض ما استقامتا إلا بالحق والعدل [هـ].

ومن ذلك أيضا نقصان البركة بسبب المعاصي كما في قوله تعالى: ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ الروم. فقد ورد في تفسير القرطبي أن ابن عباس قال: هو نقصان البركة بأعمال العباد كي يتوبوا [هـ]. وجاء في تفسير ابن كثير

أن زيد بن ربيع قال: ( ظهر الفساد ) يعني انقطاع المطر عن البر يعقبه القحط، وعن البحر تعمى دوابه [هـ].

ومن ذلك أيضا الكفر بأنعم الله كما في قوله تعالى: وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ النحل. وسيأتي توضيح أسباب هذا العذاب في بيان حال الأمم مع الحق والميزان.

## 2.9 المراد بالعلم والميزان

إن المراد بالعلم عموما هو المعرفة وله أقسام وأنواع ويمكن تقسيمه إلى قسمين وهما: العلم الكوني والعلم الشرعي. فالعلم الكوني ينقسم إلى علم ظاهر وهو العلم السببي وعلم غير ظاهر وهو العلم الغيبي. وأما العلم الشرعي فهو ما قام عليه الدليل كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وأما الميزان فالمراد به العدل وهو العمل بعد المعرفة وأقسام الميزان كأقسام العلم، ويمكن تقسيمه إلى ميزان كوني وميزان شرعي. فالميزان الكوني ينقسم إلى الميزان السببي والميزان الغيبي. وأما الميزان الشرعي فهو ينقسم إلى الميزان الفطري والميزان الديني. والميزان الشرعي تابع للعلم الشرعي وهو ما قام عليه الدليل.

وعلى ما تقدم، فإن كان المراد المعرفة قيل العلم وإن كان المراد العمل بعد المعرفة قيل الميزان. وكل هذا على سبيل التفصيل. وأما على سبيل الإجمال فإن الميزان الكوني تابع للعلم الكوني الصحيح وأما الميزان الشرعي فهو تابع للعلم الشرعي الصحيح. والله أعلم.



## 2.10 أقسام الميزان الكوني

### 2.10.1 الميزان السبيي

فالقسم الأول هو الميزان السبيي أو العلم السبيي وهو علم ظاهر يدرك بالعقل والفطرة وما من الله به على خلقه من حواس كالبصر والسمع والإحساس. وهذا لأن هذا الميزان فيه حقيقة الأشياء ومسمياتها وطريق الوصول إليها ومسبباتها. والمخلوقات تتفاوت في المعرفة بهذا الميزان كل بحسب حاله ومقامه ولكن الله جل جلاله أختص الإنسان وفضله على سائر الخلق بأن جعل له عقلاً يدرك به من الأسباب ما لا يمكن لغيره من المخلوقات. وهذا لأن الله جل جلاله أراد بحكمته أن يجعله خليفة في الأرض نخلقه على صورته وجعل له من العقل والذكاء ما لم يعطي غيره. وهذا ما فضل به آدم على الملائكة وهو تفضيل في المعرفة السببية فأمرهم بالسجود له تسجود التحية والاحترام وليظهر فضله على سائر الخلق وهذا لحكمته سبحانه وعلمه كما في قوله تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ البقرة.

فأما الملائكة فاعترفوا بهذا الفضل وبأنهم لا علم لهم إلا علمه الله لهم ولكن هذا النقص في العلم السبيي لم يمنعهم من الطاعة والإنقياد لأمر الله جل جلاله. وأما إبليس فقد حسد آدم في الصورة

التي خلق بها وعلى ما منَّ الله به عليه من العلم والقدرة المعرفية التي استحق بها هذا الثناء والتقدير. ولهذا فما كان للشيطان إلا أن يقول مستكبرا أنه خيرا منه خلق من نار وآدم من طين حسدا منه وكفرا. وهذا فيه جهل ابليس حيث أنه نسب الفضل لمجرد نوع مادة الخلق والقوة الطبيعية لا للعلم والقدرة المعرفية التي منَّ الله بها على آدم عليه السلام. فما كان له إلا أن يسعى لإضلاله وإخراجه من الجنة حسدا منه على هذه الفضائل ولو كان ذلك على حساب هلاكه وسوء مثاله. وهذا أيضا فيه نقص العقل وسوء الفكر نسأل الله السلامة والعافية. ولم يكتفي بذلك بل أخذ العهد على نفسه لإغواء وإضلال كل ذرية بني آدم كما حذرنا سبحانه وتعالى في كتابه الكريم.

وبالمعرفة بهذا الميزان السببي لا زالت تتقدم الحضارات الإنسانية وتتطور في الأخذ بالأسباب لإنجاز ما لم يكن ممكنا لما سبق من الأمم من التكنولوجيا وشتى العلوم كالفيزياء والكيمياء والطب وغيرها من العلوم الأخرى التي بها يمكن تحصيل المصالح الدنيوية والدنيوية. ومفتاح كل هذه العلوم هو علم الحساب حيث به تعرف مقادير الأشياء وتقديرها ولهذا فقد أمر الله تعالى بتعلمه من الآيات الكونية كما تقدم. ولهذا فإن الميزان السببي يحتاج إلى بحث وتمعن في آيات الله الكونية، وما يخفى منه على الإنسان أكثر مما يعلم لهذا قال جل جلاله في ذلك عندما سئل الرسول ﷺ عن حقيقة الروح: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ الإسراء.

ولهذا فقد ذكر جل جلاله تقدم البشرية من الأقسام السابقة في هذا العلم السببي ولكن هذا التقدم كان سببا في زيادة الغفلة ظنا منهم أنه يغني عن الميزان أو العلم الشرعي ولهذا قال تعالى: فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ غافر. وقال تعالى: يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ الروم. وجاء في تفسير السعدي بيان ذلك أن هؤلاء الذين لا يعلمون أي: لا يعلمون بواطن الأشياء وعواقبها. وإنما يَعْلَمُونَ

ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَيَنْظُرُونَ إِلَى الْأَسْبَابِ وَيَجْزَمُونَ بِوُقُوعِ الْأَمْرِ الَّذِي فِي رَأْيِهِمْ انْعَقَدَتْ أَسْبَابُ  
وجوده ويتيقنون عدم الأمر الذي لم يشاهدوا له من الأسباب المقتضية لوجوده شيئاً، فهم واقفون  
مع الأسباب غير ناظرين إلى مسببها المتصرف فيها. وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ قد توجهت قلوبهم  
وأهواؤهم وإراداتهم إلى الدنيا وشهواتها وحطامها فعملت لها وسعت وأقبلت بها وأدبرت وغفلت عن  
الآخرة، فلا الجنة تشتاق إليها ولا النار تخافها وتخشاها ولا المقام بين يدي الله ولقائه يروعها ويزعجها  
وهذا علامة الشقاء وعنوان الغفلة عن الآخرة. ومن العجب أن هذا القسم من الناس قد بلغت بكثير  
منهم الفطنة والذكاء في ظاهر الدنيا إلى أمر يحير العقول ويدهش الأبواب. وأظهروا من العجائب  
الدرية والكهربائية والمراكب البرية والبحرية والهوائية ما فاقوا به وبرزوا وأعجبوا بعقولهم ورأوا غيرهم  
عاجزاً عما أقدرهم الله عليه، فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء وهم مع ذلك أبلد الناس في أمر  
دينهم وأشدهم غفلة عن آخرتهم وأقلهم معرفة بالعواقب، قد رآهم أهل البصائر النافذة في جهلهم  
يتخبطون وفي ضلالهم يعمهون وفي باطلهم يترددون نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون.  
ثم نظروا إلى ما أعطاهم الله وأقدرهم عليه من الأفكار الدقيقة في الدنيا وظاهرها و[ما] حرموا من  
العقل العالي فعرفوا أن الأمر لله والحكم له في عبادته وإن هو إلا توفيقه وخذلانه نخافوا ربهم وسألوه  
أن يتم لهم ما وهبهم من نور العقول والإيمان حتى يصلوا إليه، ويحلوا بساحته [وهذه الأمور لو قارنها  
الإيمان وبنيت عليه لأثمرت الرُّقِيَّ العالي والحياة الطيبة، ولكنها لما بني كثير منها على الإلحاد لم تثمر  
إلا هبوط الأخلاق وأسباب الفناء والتدمير] [هـ]. وهذا والله فيه البيان الكافي في أن الطريق الواضح  
والسلم للرقى بالحضارة بما يرضي الله لا يكون إلا بالأخذ بالعلم الشرعي مع العلم السبي والتوجه إلى  
الله بالتوحيد والإخلاص والتقوى والعمل الصالح. وهذا ما يجب على الإنسان أن يعمل به ويعمل  
على تحقيقه ويتوكل على الله في ذلك كله والله المستعان.

ومن الأمثلة على تقدم الأمم السابقة في العلم السبيي (ولو بالنسبة لقريش والعرب) والذي كان سببا لتكبرها وتجبرها على أمر الله الشرعي هم عاد قوم هود عليه السلام حيث قال تعالى فيهم: وَلَقَدْ مَكَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ الأحقاف. وهذا فيه أن الله جل جلاله يسر لعاد أسباب التمكين في الدنيا على نحو لم يمكن به غيرهم من العرب وكفار قريش كما جاء في عدة تفاسير. إلا أن هذا التمكين لم يكن سببا لهدايتهم رغم ما كان لهم من سمع وأبصار وقلوب ولكنهم كفروا واستهزؤا بأمر الله فغضب الله عليهم وأنزل عليهم عذابه. وهذا الأمر قد تكرر مع العديد من الأقوام السابقة كما في قوله تعالى: أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ الأنعام. فهذه هي سنة الله ودأبه، في الأمم السابقين واللاحقين، فاعتبروا بمن قص الله عليكم نبأهم. فالحمد لله الذي بين لنا الحق البيان الكامل.

وأما الجن فلم يكن لهم التقدم في الحضارة وهذا لنقص عقولهم في إدراك الميزان أو العلم السبيي. ولهذا كان كل الأنبياء والرسل من البشر فهم أكل عقلاً وأعلى فكراً وأعظم علماً. وهذا لأن الجن لا يدركون من الأسباب ما يمكن للبشر إدراكه ومن ذلك ما بينه جل جلاله في قوله عن الجن: فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ سبأ. حيث أنهم خدموا سليمان عليه السلام وهو ميت ظنا منهم أنه حيا. فلم يدركوا بعقولهم الناقصة أنه إذا لم يتحرك لفترة طويلة من الزمن فقد يكون قد مات، وهذا ما يستطيع إدراكه العاقل من البشر بكل سهولة. وقد جاء في تفسير السعدي بيان ذلك أن الجن كانوا قد موهوا على الإنس. وأخبروهم أنهم يعلمون الغيب، ويطلعون على المكنونات،

فأراد الله تعالى أن يُريَ العباد كذبهم في هذه الدعوى، فكثروا يعملون على عملهم، وقضى الله الموت على سليمان عليه السلام، وأتكا على عصاه، وهي المنسأة، فصاروا إذا مروا به وهو متكى عليها، ظنوه حيا، وهابوه. فعدوا على عملهم كذلك سنة كاملة على ما قيل، حتى سلطت دابة الأرض على عصاه، فلم تزل ترعاها، حتى باد وسقط فسقط سليمان عليه السلام وتفرقت الشياطين وتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين وهو العمل الشاق عليهم، فلو علموا الغيب، لعلوا موت سليمان، الذي هم أحرص شيء عليه، ليسلوا مما هم فيه [هـ].

وكل هذا فيه البيان من الله جل جلاله للناس أن الجن ليس فقط لا يعلمون الغيب بل هم أنقص عقلا وفكرا وإن كانوا أكثر قوة بطبيعة مادة خلقهم وهي النار. إلا أن الإنسان قادر على إدراك الأسباب التي تمكنه من التفوق على الجن في القوة بالعلم السبي، ومن ذلك قصة عرش بالقيس حيث قال تعالى مخبرا عن سليمان عليه السلام: قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ النمل. وقد جاء في تفسير السعدي أن هذا الذي عنده علم من الكتاب هو رجل عالم صالح عند سليمان يقال له: "آصف بن برخيا" كان يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعا الله به أجاب وإذا سأل به أعطى، بأن يدعو الله بذلك الاسم فيحضر حالا وأنه دعا الله فحضر. فالله أعلم هل هذا المراد، أم أن عنده علما من الكتاب يقتدر به على جلب البعيد وتحصيل الشديد [هـ]. والأقرب والله أعلى وأعلم أن آصف كان لديه هذا العلم السبي الذي به يقرب البعيد ولهذا فقد نسب جل جلاله فعله للعلم وهو العلم السبي ولم ينسب فعله لإيمانه أو دعائه كما هو الحال مع سائر الأنبياء مثل ينوس عليه السلام

في قوله تعالى: فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ الأنبياء. وهذا العلم الذي كان لدى آصف يسمى علم التنقل الآتي للمحسوسات وإلى زماننا يبدو هذا العلم مستحيلًا إدراكه إلا أنه يبقى علم سببي قد يدركه الإنسان إن علم أسبابه الموصلة إليه. ومن المعلوم أنه الإنسان في زماننا قد تمكن من تحقيق التنقل الآتي لغير المحسوسات كالصوت والصور وكافة البيانات الرقمية وغيرها من الأشياء المستخدمة في وسائل الاتصال التي كانت تبدو مستحيلة في الماضي القريب. فلك أن تتأمل في الأسباب الموصلة لهذا العلم العظيم الذي إن أدركه المسلمون لسبقوا كل الأمم والحضارات وكتب لهم التمكن إن أقاموا الحق والميزان مع الأخذ بهذا السبب العظيم.

ومن فضل الله ومنه على عباده أنه يفتح على من يشاء من هذا العلم السببي لعباده الصالحين القائمين بالميزان الشرعي فجعل لهم من أسباب التمكن ما يعجز عليه غيرهم وهذا لحكمته سبحانه، كما فتح على ذي القرنين وعلى داوود وسليمان عليهما السلام وعلى آصف رحمه الله وعلى نبينا محمد ﷺ وعلى الصالحين من بعده من أصحابه رضي الله عنهم إلى زمان هارون الرشيد رحمه الله وما سيأتي في آخر الزمان في عهد المهدي المنتظر وعيسى عليه السلام، وسيأتي بيان وتفصيل كل ذلك في فصل الحكم الرشيد.

## 2.10.2 الميزان الغيبي

أما القسم الثاني فهو الميزان الغيبي أو العلم الغيبي وهو علم غير ظاهر لا يعلمه بالكلية ولا يملك مفاتيحه إلا الله جل جلاله كما في قوله تعالى: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلِمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ الأنعام. فهو سبحانه عالم الغيب والشهادة كما في قوله تعالى: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ الْحَشْرِ. ومنه ما أذن الله بمعرفته ومنه ما لم يأذن سبحانه بمعرفته والدليل على هذا قوله تعالى: عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ الْجِن. وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ أَوْ أُنْزِلَتْ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلِمَتْهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرَتْ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ حَزَنِي وَذَهَابَ هَمِّي وَغَمِّي (صحيحه الألباني في السلسلة الصحيحة) . وهذا فيه أن الله جل جلاله عنده علم لم يأذن بمعرفته لأحد من خلقه وهو العلم الذي استأثر به في علم الغيب عنده.

ومن الأمثلة على العلم الغيبي الذي لم يأذن الله بمعرفته كعلم موعد وقوع الساعة كما في قوله تعالى: يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ <sup>ط</sup> قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ الْأَحْزَاب. ولقد صح عن النبي وهو أشرف الناس أنه قال لجبريل هو أشرف الملائكة عن الساعة عندما سأله: فَمَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ (صحيح البخاري) . ولهذا فقد أمر جل جلاله نبيه ببيان هذا الأمر وهو العلم الغيبي الذي لم يأذن الله بمعرفته في قوله تعالى: قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ <sup>ط</sup> إِن أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ <sup>ج</sup> قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ <sup>ج</sup> أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ الْأَنْعَام. وقوله تعالى: قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ <sup>ج</sup> وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ <sup>ج</sup> إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ الْأَعْرَاف.

وأما العلم الغيبي الذي أذن الله بمعرفته فنه ما علمه الله الأنبياء والرسل في الكتب المنزلة من القصص الفائضة كما في قوله تعالى: تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ <sup>ط</sup> مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ

مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ هود. وغير ذلك من الأخبار الفائضة كفترة مكوث أهل الكهف وعددهم، وقصص الأنبياء عليهم السلام. ومن ذلك أيضا الأحداث القادمة كما في قوله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ لِيَ وَرَبِّي لِتَأْتِيَنَكُمُ الْعِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ سبأ. وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تخبر بالأمور التي تحدث في المستقبل وفي آخر الزمان كنزول عيسى عليه السلام، وخروج الدابة، وإنهيار سد ذي القرنين، وخروج يأجوج ومأجوج. فكل ما سبق فيه الدليل الواضح على أن الله سبحانه وتعالى أذن بمعرفة بعض العلم الغيبي لمن شاء من خلقه ولم يأذن بمعرفة بعضه الآخر. والعلم الغيبي الذي لم يأذن الله بمعرفته أكثر مما علم الخلق كما في قوله تعالى: وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ الإسراء.

ومن المعلوم أن العلم الغيبي لا يمكن إدراكه بالكلية بالعلم السببي وإنما يدرك منه فقط ما أذن الله بمعرفته فجعل الله أسبابه وعلامته واضحة ومنظمة لكل عاقل لما في ذلك من مصالح دينية ودنيوية. فمثلا يتنبأ بالمطر من الغيم الأسود، وبالإنباج من علامات الحمل، وبنهاية الشهر بمنازل القمر، وبطلوع الزرع بعد نزول المطر، وبطريق السير من سير النجم وغير ذلك من الأسباب التي جعلها الله دلالات واضحة على ما ستؤول إليه الأشياء والأحوال في المستقبل ولو على وجه التقريب. وهنا يأتي علم الحساب حيث به تحسب المقادير والأوزان والأحجام والأشكال والألوان والأصوات والحركات والأمكنة والأزمنة وغير ذلك من الأشياء التي تعرف بها الأسباب والقوانين التي جعلها سبحانه في هذا الكون. وتتفاوت هذه الأمور في إمكانية حسابها فمنها ما يستحيل حسابه كالساعة سواء الكبرى أو الصغرى، ومنها ما يصعب حسابه كالمطر، ومنها ما يسهل ويعرف حسابه كأيام الشهر وساعات اليوم.

فكل هذه الأسباب مرجعها للعلم السببي ويدرك بها فقط جزء من العلم الغيبي الذي أذن الله به



ومثال ذلك أن ذي القرنين بخبرته بأسباب الحديد علم أن مثال سده إلى الإنهيار لما علمه من تآكل الحديد كما في قوله تعالى: قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ الكهف. ومن ذلك أيضا علم التسيير الذي به يتنبأ بالمكان والزمان لمعرفة الطريق باستخدام مواضع النجوم كما في قوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ الأنعام. وقد فسر السعدي ذلك أن الله جعل النجوم هداية للخلق إلى السبل، التي يحتاجون إلى سلوكها لمصلحتهم، وتجاراتهم، وأسفارهم. منها: نجوم لا تزال ترى، ولا تسير عن محلها، ومنها: ما هو مستمر السير، يعرف سيره أهل المعرفة بذلك، ويعرفون به الجهات والأوقات. ودلت هذه الآية ونحوها، على مشروعية تعلم سير الكواكب ومحالها الذي يسمى علم التسيير، فإنه لا تتم الهداية ولا تمكن إلا بذلك [هـ].

ولهذا فإن التنبأ بالمستقبل بالحساب لا يكون دائما صحيحا أو دقيقا وبالأخص في الأمور التي يصعب حسابها، فأمر الله الواقع قد يحجب عن خلقه لحكمته ومثال ذلك قوم هود إذ ظنوا أن الغيم الأسود علامة للمطر كما هو معتاد ولكنه كان عذاب الله كما في قوله تعالى: فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ ۚ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ الأحقاف. لهذا فإن الوقائع المستقبلية يختلف حسابها بحسب ما أذن الله بعرفته ومعرفة أسبابه ومقاديره، فالتنبؤ لا تخضع لنقط معين ومعروف لا يمكن التنبأ بها إلا على وجه التقريب. وتزداد دقة الحساب مع الزيادة في معرفة هذه الأسباب والمقادير والتي تتأني بالبحث والتجربة والقياس والملاحظة وكل ذلك ممكن بالرجوع لآيات الله الكونية التي منها يتعلم الحساب.

ومن فضل الله ومنه أنه اختص وفتح من هذا العلم الغيبي على ما شاء من أنبياءه ورسله كل

حسب حاله ومقامه. ومن ذلك ما فتح الله به على الخضر عليه السلام حيث علم من الأمور الغيبية ما لم يعلمه موسى عليه السلام. فكان الخضر عليه السلام أعلم من موسى في العلم الغيبي وكان موسى عليه السلام أعلم من الخضر في العلم الديني، وكل منهما كان نبيا ولكن تفاوتوا في العلم والفضل فوسى عليه السلام من أولى العزم من الرسل وكلم الله موسى تكليما، فكل بحسب مقامه وما فضله الله به كما في قوله تعالى: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ الْبَقَرَة. وقوله تعالى: وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ الإسراء.

وقد جاء في تفسير بن كثير عن بن عباس أن موسى قال للخضر: جئتكَ لتعلمني مما علمت رشد. قال: يكفيك التوراة بيدك، وأن الوحي يأتيك. يا موسى، إن لي علما لا ينبغي لك أن تعلمه، وإن لك علما لا ينبغي لي أن أعلمه.<sup>1</sup> وقال بن عباس رضي الله عنه عن الخضر عليه السلام أنه كان رجلا يعلم علم الغيب قد علم ذلك - فقال موسى: بلى. قال: ( وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ) ؟ أي: إنما تعرف ظاهر ما ترى من العدل، ولم تحط من علم الغيب بما أعلم [هـ]. وجاء أيضا ما يؤكد هذا المعنى في تفسير القرطبي: وعلمناه من لدنا علما أي علم الغيب، وقال ابن عطية: كان علم الخضر علم معرفة بواطن قد أوحيت إليه، لا تعطي ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها؛ وكان علم موسى علم الأحكام والفتيا بظواهر أقوال الناس وأفعالهم [هـ]. وبينما الخضر وموسى عليهما السلام على السفينة، جَاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَتَقَرَّرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا عَلَيَّ وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَّصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ (صحيح البخاري).<sup>2</sup>

<sup>1</sup> وهذا فيه أن الخضر لديه من العلم الغيبي الذي لا يعلمه موسى وأن موسى لديه من العلم الديني الذي لا يعلمه الخضر.

<sup>2</sup> وهذا فيه أن الإنسان لم يؤت من العلم إلا قليلا كما تقدم في معنى قوله تعالى: وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ

وكل هذا فيه أن الخضر علم ما ستؤول إليه الأمور بما علمه الله له من علم الغيب فعلم بذلك أن السفينة لو لم تعاب لأخذها الملك غضبا من المساكين، وأن الغلام لو لم يقتل فسوف يرهق أبواه المؤمنين طغيانا وكفرا، وأن الجدار لو لم يقام لسقط ولسرق كنز الغلامين اليتيمين أبناء الرجل الصالح. وما تصرف الخضر في هذه الأمور إلا لعلمه من الله أن جميع هذه الأمور سيقع في علم الغيب كما أوحى إليه ذلك. ولكن من رحمة الله ومنه فقد أذن للخضر أن يصلح ذلك ولهذا فقد قال: وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ الكهف. وبهذا يتبين أن الخضر إنما أوتي هذا العلم العظيم لمصلحة الناس وليس للإضرار بهم وهذا فيه بيان الرشد والذي به تجلب المصالح الدنيوية. وهذا ما أراد موسى تعلمه لهذا: قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِنِّي مِمَّا عُلِّمَتْ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ الكهف. وهذا فيه أن المصالح الدنيوية لا تجلب فقط بالعلم الديني بل إن ذلك يتطلب الخبرة ولهذا فقد قال الخضر عليه السلام: قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِط بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ الكهف. وهذا فيه أنه بالخبرة تجلب المصالح الدنيوية وبالعلم الديني تجلب المصالح الدينية وسيأتي تفصيل ذلك في فصل الحكم الرشيد بإذن الله. وفي هذه القصة بيان تدبير الله جل جلاله فإنه يعلم سبحانه ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون فسبحان الله الذي وسع كل شيء وأحاط به علما.

## 2.11 أقسام الميزان الشرعي

### 2.11.1 الميزان الفطري

فالميزان الفطري أو العلم الفطري فهو الذي يدرك بالفطرة السليمة الموافقة للعقل والتي فطر الله الناس عليها فيعرف به الخير من الشر والعدل من الظلم والإسلام من الكفر وغير ذلك من الأمور التي فطر الله الناس عليها والدليل على هذا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجِ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فِطَرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا [الروم: 30] الْآيَةَ (صحيح البخاري). ومن الأمور التي تخالف الميزان الفطري مثل الشرك (وبالأخص شرك الربوبية) والمجاهرة بالمعاصي والقتل والواط والسرقة والغش في الكيل فهي أمور تدرك بالفطرة السليمة الموافقة للعقل ويمكن إثباتها لكل ذي عقل حتى بدون وحى. ومن ذلك أن أغلب الأمم مسلمة كانت أو كافرة اتفقت على فرض عقوبات على السرقة والغش على سبيل المثال موافقة ذلك للفطرة السليمة.

ولهذا فإن مخالفة الميزان الفطري هي أشد جرما من مخالفة الميزان الديني لأنها تعارض فطرة الله التي فطر الناس عليها والتي يمكن إدراكها حتى بدون وحى. ويعتبر الميزان الفطري أدنى مرتبة من الميزان الديني وفي معارضة هذا الميزان تعجيل سخط الله وعقوبته في الدنيا قبل الآخرة. ويعتبر الميزان الفطري ناقص حيث لا يمكن به إدراك العديد من الأمور الشرعية التي يحتاج إلى الوحي لإدراكها ومنها العقيدة والعبادات والأحكام الشرعية وغيرها من الأمور التي لا يمكن إدراكها بالفطرة السليمة فقط. ولهذا فقد أرسل الله جل جلاله الرسل وأنزل الكتب لبيان الميزان الديني والذي به يكتمل بيان الميزان الشرعي الذي أمر الله عباده به.

والميزان الفطري فيه الحجة لإدراك دين الإسلام لموافقته الفطرة كما سيأتي في بيان الميزان الديني. فقد جاء في الحديث القدسي عن الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاءً فاجتالهم الشياطينُ فخرّمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً (صحيح، مجموع الفتاوى لابن تيمية). ولهذا فإن الشياطين لا تسعى لإفساد الميزان الديني فقط وإنما تسعى لإفساد الميزان الفطري والديني معا كما في قوله تعالى عن ابليس: وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ وَلَا مَنِينَ لَهُمْ وَلَا مَنِينَ لَهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَنَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾ النساء. وقد جاء بيان ذلك في تفسير السعدي أن الله تعالى خلق عباده حنفاءً مفطورين على قبول الحق وإيثاره، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن هذا الخلق الجميل، وزينت لهم الشر والشرك والكفر والفسوق والعصيان. فإن كل مولود يولد على الفطرة ولكن أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، ونحو ذلك مما يغيرون به ما فطر الله عليه العباد من توحيده ووجهه ومعرفته. فافترسهم الشياطين في هذا الموضع افتراس السبع والذئب للغنم المنفردة. لولا لطف الله وكرمه بعباده المخلصين لجرى عليهم ما جرى على هؤلاء المفتونين، وهذا الذي جرى عليهم من توليهم عن ربهم وفطرهم وتوليهم لعدوهم المرید لهم الشر من كل وجه، نفسروا الدنيا والآخرة، ورجعوا بالخبية والصفقة الخاسرة [هـ].

حديث بن عباس في فصل أطفال المسلمين والمشرکين

## 2.11.2 الميزان الديني

وأما القسم الثاني من الميزان الشرعي فهو الميزان الديني أو العلم الديني وهو موافق للميزان الفطري ومكمل له. ويدرك بالوحي بالمنزل من عند الله تبارك وتعالى على الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام. ولهذا فقد أثبت سبحانه موافقة دينه للفطرة التي فطر الناس عليها في قوله تعالى: فَأَقِم

وَجَهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ الروم. وهذه فيه أن الميزان الديني الذي أنزله الله كان ولا يزال موافقا للفطرة ومكملا لها وهو دين الإسلام الذي أرسلت به كل الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ.

ومن الأمور التي تخالف الوحي مثل الشرك (وبالأخص شرك الألوهية)، ومنع الزكاة، والحكم بغير ما أنزل الله كتحريم ما أحل الله أو تحيل ما حرم الله وغير ذلك من الأمور التي تخالف أمر الله ورسوله والتي يمكن إدراكها بالوحي المنزل وبالحجة الواضحة والبيئة إستنادا إلى جاء في كتاب الله عز وجل، أو صح في سنه نبيه الكريم، أو ثبت عن سبيل المؤمنين من السلف الصالحين.

ولهذا فقد أمر الله عز وجل جميع الأنبياء لدعوة المشركين لعبادة الله وحده لا شريك له (أي إلى توحيد الألوهية) وإقامة الحجة عليهم بإيمانهم بأن الله هو من خلقهم وخلق السموات والأرض وهو مدبر الكون (أي بإيمانهم بتوحيد الربوبية) كما في قوله تعالى: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ الزمر. وفي قوله تعالى: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ الزخرف. فوصف الله جل جلاله هؤلاء بأن أكثرهم لا يعقلون في قوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ العنكبوت. ووصفهم جل جلاله أيضا بأنهم لا يعلمون في قوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لقمان. ؛ أولا لا يعقلون لخالفهم الفطرة الموافقة للعقل وثانيا لا يعلمون لخالفهم العلم الشرعي وهو أمر الله المنزل من عنده.

ولهذا فقد بين ذلك إبراهيم عليه السلام لأبيه كما في قوله تعالى: إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ مريم. فحاجه أولاً بالميزان الفطري الذي يقام بالحجة العقلية في بطلان عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر، وحاجه ثانياً بالميزان الديني الذي يقام بالعلم الصحيح المنزل من الله تبارك وتعالى وهو الوحي الموافق للفطرة والمكمل لها. وبين له الحكم الجزائي للشرك الموجب لعذاب الله فأقام عليه بذلك الحجة الكاملة والواضحة.

## 2.12 الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب

أرسل الله عز وجل رسله بالكتاب أولاً لبيان الحق وهو العلم الصحيح ومن ثم لإقامة الميزان الشرعي بالقسط والعدل بين الناس حيث يقول جل جلاله: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ الحديد. والكتاب هو الحق كما في قوله تعالى: وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ البقرة. والقسط في الكيل والوزن والعدل بين الناس من إقامة الميزان الشرعي وهو من الأمور التي أوصى الله تعالى بها وهي من أسباب القوى ولهذا فقد دلنا سبحانه على الحديد والأخذ به لنصرة الله جل جلاله ورسله ونصرة الحق الذي جاءوا به. وفي هذا دليل على أن نصرة الله ورسله تكون بثلاثة أمور وهي: (1) إقامة الحق بالعلم الصحيح، (2) إقامة الميزان الشرعي بالعدل والقسط، (3) الأخذ بأسباب القوى كالحديد وما

يلزم ذلك من علوم كالحساب والطب وغيرها من العلوم السببية التي تكمن المسلمين من دحر الأعداء ونشر الحق ونصرته. وهذه الأمور الثلاثة هي أركان الحكم الرشيد التي بها يكون التمكن كما سيأتي بيان ذلك في فصل الحكم الرشيد.

فإنه جل جلاله أنزل كتابه لتحقيق هذه الغاية العظيمة وهي إقامة الحق والميزان الشرعي كما بين ذلك في قوله تعالى: اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ الشورى. فذكر الله الميزان إلحاقاً بالحق لأن الحق لا يكون إلا بالعلم الصحيح وهو يقتضي الميزان الشرعي الذي لا يكون إلا بالعمل الصحيح ومنه العدل والقسط كما أمر تعالى ومن ذلك بلا شك الحساب الصحيح كما سيأتي. إقامة الميزان الشرعي من الوصايا العشر من سورة الأنعام في قوله تعالى: وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ الأنعام. فقرن الله عز وجل في هذه الآيات بين الكيل والميزان والعدل في القول والوفاء بالعهد. وفيه أن الميزان والكيل لا يكون إلا بالقسط وهو العدل. وفيه أن العدل ذكر مع ذا القربى ولذلك يكون العدل بين الناس. وأيضاً من الوصايا التي ذكرها الله في سورة الإسراء في قوله تعالى: وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ الإسراء. يقول السعدي في تفسيره: وهذا أمر بالعدل وإيفاء المكيال والموازين بالقسط من غير بخس ولا نقص. ويؤخذ من عموم المعنى النهي عن كل غش في ثمن أو مئتمن أو معقود عليه والأمر بالنصح والصدق في المعاملة [هـ]. ومن ذلك بلا شك الحساب ولذلك وجب الوفاء والصدق فيه من غير غش ولا تضليل وإقامة الميزان فيه بالقسط كما في الكيل.



## 2.13 مكانة أهل العلم الشرعي

ولما كان الحق هو العلم الصحيح، كان أهل العلم الشرعي هم أعلم الناس بالحق كما في قوله تعالى: وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦٦﴾ سبأ. وفيه أن الحق يهدي إلى الطريق المستقيم كما ذكر تعالى في هذه الآية وفي قوله تعالى: وَلْيَعْلَمْ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ الحج. فقد جعل الله جل جلاله أهل العلم حجة على الناس لما معهم من الحق فكانوا بذلك هم ورثة الأنبياء في الأرض فقد قال تعالى: قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَجْعَدًا ﴿١٠٧﴾ الإسراء. وقوله تعالى: بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ العنكبوت.

ولهذا فقد رفع الله مكانة أهل الإيمان وأهل العلم في الدنيا والآخرة لما عرفوا من الحق كما في قوله تعالى: يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ المجادلة. ومن أعظم ذلك قوله تعالى: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ آل عمران. يقول السعدي في تفسيره: هذا تقرير من الله تعالى للتوحيد بأعظم الطرق الموجبة له، وهي شهادته تعالى وشهادة خواص الخلق وهم الملائكة وأهل العلم [٥]. وأما شهادة أهل العلم فلا أنهم هم المرجع في جميع الأمور الدينية خصوصا في أعظم الأمور وأجلها وأشرفها وهو التوحيد، فكلهم من أولهم إلى آخرهم قد اتفقوا على ذلك ودعوا إليه وبينوا للناس الطرق الموصلة إليه، فوجب على الخلق التزام هذا الأمر المشهود عليه والعمل به، وفي هذا دليل على أن أشرف الأمور علم التوحيد لأن الله شهد به بنفسه وأشهد عليه خواص خلقه، والشهادة لا تكون إلا عن علم ويقين،

بمنزلة المشاهدة للبصر، ففيه دليل على أن من لم يصل في علم التوحيد إلى هذه الحالة فليس من أولي العلم. وفي هذه الآية دليل على شرف العلم من وجوه كثيرة، منها: أن الله خصهم بالشهادة على أعظم مشهود عليه دون الناس، ومنها: أن الله قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وكفى بذلك فضلاً، ومنها: أنه جعلهم أولي العلم، فأضافهم إلى العلم، إذ هم القائمون به المتصفون بصفته، ومنها: أنه تعالى جعلهم شهداء وحجة على الناس، وألزم الناس العمل بالأمر المشهود به، فيكونون هم السبب في ذلك، فيكون كل من عمل بذلك نالهم من أجره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ومنها: أن إشهداه تعالى أهل العلم يتضمن ذلك تزكيتهم وتعديلهم وأنهم آمناء على ما استرعاهم عليه [هـ].

## 2.14 حال الأنبياء مع الميزان الشرعي

ولما كان الأنبياء أعلم الناس بأمر الله وأحرصهم، فقد أقاموا الميزان الشرعي حتى إقامته في حكمهم الرشيد بين الخلق. ومثال ذلك يوسف عليه السلام في قوله تعالى: قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ <sup>ط</sup> إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ يوسف. وهذا فيه حرصه عليه السلام على إقامة الكيل والوزن بما يرضي الله وهذا من الإصلاح الذي أمر الله به حيث قال لإخوته عن الكيل: وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأُجْرِكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ الْأَتْرُونَ أَتَى أَوْفِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ يوسف.

فلا شك أن التفريط في الكيل والوزن من أعظم البلايا التي حذرنا الله عز وجل منها في كتابه الكريم فيقول تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا كَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ

﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ المطففين. فالظلم في الكيل والوزن من الإفساد العظيم ومن أسباب تعجيل العذاب في الدنيا قبل الآخرة، وفي قصة مدين مع نبينهم شعيبا العبرة الواضحة في ذلك. يقول تعالى على لسان نبيه شعيب محذرا قومه: وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ الأعراف. وفي موضع آخر من سورة الشعراء: أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ الشعراء. وفي سورة هود: وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ تُخَذِرُونَ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ هود. وهذا فيه أن شعيبا عليه السلام دعا قومه لإقامة الحق أولا وهو التوحيد بإفراد الله بالعبادة وثانيا لإقامة الميزان الشرعي وهو الكيل والوزن بالقسط. وفيه أن يبخس الناس أشياءهم والخرسان والنقصان في الكيل والوزن من الظلم والفساد الموجب لسطط الله وعذابه العاجل.

ونبينا ﷺ كان من أحرص الناس في إقامة الكيل والميزان وحذر من الفساد في ذلك في العديد من المواضع منها ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ: «إِنَّكُمْ قَدْ وَلِيتُمْ أَمْرَيْنِ هَلَكَتَ فِيهِمَا الْأُمَمُ السَّابِقَةُ قَبْلُكُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ نَحْمُسُ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تَدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا قُتِلَ فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ

وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أُمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَخْتَارُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْمِهِمْ يَدِيَهُمْ». أخرجه ابن ماجه وصحه الألباني. فكل ما ذكره النبي ﷺ في هذه الحديث هي من المعاصي التي تخالف الميزان الشرعي. فالجاهرة بالمعاصي وإنقاص الكيل لا يعارض فقط الميزان الشرعي بل أيضا الميزان الفطري والذي هو أساس الميزان الشرعي والذي يمكن إدراكه بالفطرة السليمة. وفي تقديم هذا النوع بيان المبالغة في المعصية. وأما منع الزكاة، ومخالفة أمر الله ورسوله، والحكم بغير ما أنزل الله فهي تخالف الميزان الشرعي الذي يدرك بالوحي. وكل هذه الأمور من أسباب البلاء العظيم ومنها الفقر والجوع وجور السلطان. وفيه الدليل على نبوته ﷺ فقد وقع ذلك كما أخبر بعد أن تهاون الكثير من المسلمين في أمر الميزان والمكيل إلا من رحم الله. وقد علم الصحابة والتابعين بأهمية إقامة الميزان والمكيل وأن الفساد فيهما من أسباب سخط الله ومنه ما ورد عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، يَقُولُ إِذَا جِئْتَ أَرْضًا يُوفُونَ الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ فَاطْلُ الْمَقَامَ بِهَا وَإِذَا جِئْتَ أَرْضًا يُنْقِصُونَ الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ فَاقْلِلِ الْمَقَامَ بِهَا.

ومن ذلك أيضا الربا وبيع العينة لما فيه من التلاعب بالميزان الذي أمر الله بإقامته فعن ابن عمر، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ "إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيمَ الزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ" (صححه الألباني). يقول الشيخ العثيمين في بيان العينة: أن يبيع شيئا بثمن مؤجل ثم يشتريه ممن باعه عليه بأقل منه نقداً [٥] وسمي بذلك لأن المشتري لم يرد السلعة وإنما أراد العين أي: النقد، النقد لينتفع به، ودليل ذلك: أنه اشتراها بثمن زائد مؤجل، ثم باعها على من اشتراها منه بنقد، فكانت لم يقصد هذه السلعة وإنما قصد الثمن الدراهم، فلهذا سمي

بيع عينة [٠] والغالب أن هذا ملازم لهذا، يعني أن الذي ينهك في طلب الدنيا ويتحيل على الحصول عليها حتى بما حرم الله، الغالب أنه يترك الجهاد، لأن قلبه انشغل بالدنيا عنه. [هـ]. وهذا فيه أن التفريط في الميزان حبا في الدنيا من أسباب عقاب الله وتسلب الأعداء، فعن ثوبان، قال قال رسول الله ﷺ "يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا". فَقَالَ قَاتِلٌ وَمِنْ قَلِيلٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ "بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكُمْ رِغَاءٌ وَغِثَاءُ السَّبِيلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ". فَقَالَ قَاتِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ "حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ" (صححه الألباني). وفيه إن التفريط في الميزان الشرعي الذي أمر الله به حبا في الدنيا هو من أسباب الذل والهوان في الدنيا قبل الآخرة.

## 2.15 حال الأمم مع الميزان

الحساب الصحيح يبنى على الميزان. فإن وافق هذا الحساب آيات الله الشرعية أو الفطرة السليمة فهو من العدل والإصلاح الذي أمر الله به. وإن خالف أمر الله أو الفطرة التي فطر الله الناس عليها فهو من الظلم والفساد الذي لا يرضى الله به ومن أسباب تعجيل سخط الله في الدنيا قبل الآخرة. وهذا بالعموم على المسلمين وغيرهم. فقد قال تعالى: وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ هود. وقد جاء في تفسير الطبري أن معنى ذلك أن الله جل جلاله لم يكن ليهلكهم بشرهم بالله. وذلك قوله "بظلم" يعني: بشرك، (وأهلها مصلحون)، فيما بينهم لا يتظالمون، ولكنهم يتعاطون الحق بينهم، وإن كانوا مشركين، إنما يهلكهم إذا تظالموا [هـ]. والحق هنا هو العدل الموافق للفطرة. وجاء أيضا تفصيل ذلك في تفسير القرطبي أن معنى وأهلها مصلحون أي فيما بينهم في تعاطي الحقوق؛

أي لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف إليه الفساد، كما أهلك قوم شعيب بنخس الميكال والميزان، وقوم لوط باللواط؛ ودل هذا على أن المعاصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك، وإن كان عذاب الشرك في الآخرة أصعب [هـ]. وفي صحيح الترمذي من حديث أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده. قال ابن القيم رحمه الله: «أصل كل خير في الدنيا والآخرة هو العلم والعدل، وأصل كل شر في الدنيا والآخرة الجهل والظلم، والعدل مرجعه إلى العلم لأن من لم يعلم لا يستطيع أن يعدل. [هـ] يحتاج تحقيق من المصدر

ج وقوله تعالى: وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ يونس. وفيه أن الله جل جلاله ناظر على أعمالنا وأعمال الأمم ومجازيها بعدله سبحانه وتعالى. فحال الأمم يدور مع الحق والميزان في أربعة أحوال من الأقل تمكيننا إلى الأكثر تمكيننا:

- الدولة الكافرة الظالمة
- الدولة المسلمة الظالمة
- الدولة الكافرة العادلة
- الدولة المؤمنة العادلة

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ولهذا يروى أن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة [هـ] (مجموع الفتاوى 28/63). والأصح أن يقال: "ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة" وهذا لأن الظلم ينافي الغاية من الإيمان وكأله وهو بلا شك معصية لله ورسوله والدليل قوله تعالى: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ

فِي قُلُوبِكُمْ<sup>ط</sup> وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا<sup>ج</sup> إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ المجرات. فالدولة المؤمنة هي التي تطيع الله ورسوله ومن ذلك الحكم بالعدل، فإن خالفت أمر الله فقد خالفت الغاية من الإيمان وتكون أدنى مرتبة في الدين وهي مرتبة الإسلام. وقد قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في توضيح هذا المعنى: ذلك لأنَّ الظلم هو سبب خراب البلاد وهلاك العباد، فإذا كانت الأمة أو الدولة كافرة ولكنها تحكم بالعدل فيما بينها، هذا العدل الذي يعرفه الناس بفطرتهم، فإذا كانوا يحكمون بذلك فستقوم دولتهم وتستمرُّ مدَّةً طويلة، والتاريخ يخفل بهذا [هـ]. والحساب يكون سبيل إلى الحكم بالعدل إن كان صحيحا إن يوافق الفطرة السليمة ونجاة من سخط الله وعذابه العاجل في الدنيا. فإن وافق الحساب الحكم الشرعي مع الفطرة كان ذلك نجاة في الدنيا والآخرة وكان حكما راشدا. ولهذا كان الحساب لإقامة الحق والميزان من بنيان الحكم الرشيد. وعليه يكون علم الحساب من الدين بالضرورة وليس بخلاف ذلك إذ يتعذر إقامة الميزان حتى إقامته من دون حساب صحيح. فالدولة الكافرة عدلها في موافقة الفطرة والدولة المسلمة عدلها في موافقة الشرع بما عرفوا من الحق عن طريق الرسل التي جاتهم بالكتب والتي تبين حكم الله الشرعي كما في قوله تعالى: أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ تَوَلَّوْا فَرِيقًا مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ آل عمران.

بالتبعية والاستقراء يتبين أن الله يقيم الأمم التي تحكم بالعدل الذي يوافق الفطرة وإن كانت كافرة. فإن في ذلك سلامة من عذاب الله في الدنيا كما تقدم. فإن كانت مؤمنة وتحكم بالعدل كانت حكما راشدا ووعدا الله بالتمكين في الدنيا والفوز في الآخرة، يقول تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ<sup>ج</sup> كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ<sup>ج</sup> وَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ

الفاسيقُونَ ﴿٥٥﴾ النور. وإن كانت مسلمة ولا تحكم بالعدل فقد خالفت حكمة الله والغاية من إيمانها الذي يقتضي إقامة العدل والميزان ويصدق فيها قوله تعالى: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ الحجرات. وهذا هو حال أغلب أمة الإسلام في يومنا هذا كما هو معروف. فتكون بذلك الأمة الكافرة التي تحكم بالعدل قائمة فوق الأمة المسلمة التي لا تحكم بالعدل. وأما الأمة المؤمنة التي تقيم الحق وأجله التوحيد وما يقتضيه ذلك من إقامة الميزان ومنه العدل بين الناس تكون هي فوقهم جميعا كما دلت على ذلك الآيات والأحاديث. وهذا فيه الحكمة البالغة من الله عز وجل ومنه أن الله لا يرضى لعباده الظلم ولا يزال ذلك حال الأمة المسلمة حتى تقيم الميزان والكيل والعدل الذي أمر الله به. قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ الزعد. وهذا يشمل الراعي والرعية.

وبهذا يعلم أن الأمم إنما تقام بإقامة الميزان ومنه العدل بين الناس فإن تحقق ذلك سلمت سخط الله وعذابه في الدنيا وإن كانت كافرة. فإن لم تقيم الميزان والعدل بين الناس فتكون بذلك قد جنت على نفسها عقاب الله العاجل في الدنيا من فقر وجوع وذل وجور السلطان وإن كانت مسلمة. وأما إن كانت مؤمنة وأقامت الحق مع إقامة الميزان كما أمر الله كانت حكا راشدا وتحقق لها التمكين في الدنيا والفوز في الآخرة. وأما إقامة التوحيد دون إقامة الميزان وما يقتضيه من العدل بين الناس فهذا يتنافى حكمة الله وأمره الذي بينه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ. ولهذا وجب على المسلمين ودعاتهم الرجوع إلى أمر الله وعدم التهاون في ذلك ومنه العناية بإقامة الحق ومنه التوحيد وإقامة الميزان ومنه العدل بين الناس على حد السواء حتى يكون لهم التمكين الذي أمر الله به. ولذلك وجب علينا العناية بالحساب الصحيح بحثا وتطبيقا سعيا لتحقيق هذه الغاية العظيمة التي أمرنا الله بها وهي إقامة الحق



والميزان الذي يبنى عليه الحكم الرشيد.

فقد روى الإمام أحمد في "المسند" (30 / 355) عَنِ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تَكُونُ النَّبُوءَةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مَنَاجِ النَّبُوءَةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبَرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مَنَاجِ نُبُوَّةٍ).

## 2.16 الغاية من علم الحساب

رغم أن علم الحساب قد يدرس لغايات كونية محضة إلا أن العلم به من الضروريات التي يحتاج إليها الناس في أمور دينهم ودنياهم. فعلم الحساب هو الوسيلة لتحقيق الغاية العظيمة التي أمر الله بها وهي إقامة الميزان والعدل. ولهذا كان البحث في علم الحساب من الأمور التي حث الله تعالى عليها في موضعين في كتابه. قال تعالى: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ <sup>ط</sup> فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلَنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ الإسراء. يقول السعدي رحمه الله في تفسيره: وَلِتَعْلَمُوا بتوالي الليل والنهار واختلاف القمر عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ فتبنون عليها ما تشاءون من مصالحكم. وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلَنَاهُ تَفْصِيلًا أي: بينا الآيات وصرفناه لتتميز الأشياء ويستبين الحق من الباطل كما قال تعالى: مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ [هـ]. وقال تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِّتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ يونس. يقول السعدي رحمه الله في تفسير هذه

الآيات: وفي هذه الآيات الحث والترغيب على التفكير في مخلوقات الله، والنظر فيها بعين الاعتبار، فإن بذلك تنفتح البصيرة، ويزداد الإيمان والعقل، وتقوى القريحة، وفي إهمال ذلك، تهاون بما أمر الله به، وإغلاق لزيادة الإيمان، وجمود للذهن والقريحة [هـ].

وفي هذا الحث والترغيب في علم الحساب الحكمة البالغة من الله جل جلاله. ومن ذلك أن علم الحساب هو مفتاح جميع العلوم التي يمكن فيها القياس والعد ولا يمكن فهمها فهما صحيحا من دون الحساب الصحيح. فعلم الحساب يحتاج لفهم الميزان الكوني من آيات الله الكونية وإقامة الميزان الشرعي باتباع آيات الله الشرعية. من الأمثلة لتطبيقات علم الحساب في اتباع آيات الله الشرعية كعلم الموارد والبيع والشراء وغيرها من المعاملات التي يحتاج إليها الناس. ومن الأمثلة على تطبيقات علم الحساب في فهم آيات الله الكونية كحركة الشمس والقمر وغيرها من الظواهر الطبيعية التي خلقها الله لما في ذلك من تفكر في عظمة الله وزيادة في الإيمان. وإن أفضل طريقة لفهم علم الحساب هي التأمل والتفكر في آيات الله الكونية وهي الظواهر الطبيعية التي خلقها الله وجعل لها الميزان الكوني لفهمها وحسابها. فهي المرجع لنا حتى نتحقق من صحة وسلامة الحساب. وهذا النهج هو نهج القرآن وهو أفضل الطرق وأحسنها. ويمكن أيضا دراسة علم الحساب مجردا من أي تطبيقات وهذا نهج معروف. ولكن الجمع بين العلوم الطبيعية كعلم الفيزياء والحساب لمحاولة محاكاة الظواهر الطبيعية هي الطريق الأمثل لتطوير علم الحساب وهذا معروف لأهل هذا العلم. وبهذا يكون الميزان الكوني طريقا لتعلم الحساب الصحيح ومن ثم يكون الحساب الصحيح وسيلة لإقامة الميزان الشرعي الذي أمر الله به.

والحساب الصحيح لا يقام إلا بالميزان وهو صورة من صور الكل إلا أن الكل يكون بالميزان الحسي وأما الحساب يكون بالميزان العقلي. وعليه فإن الحساب لا يكون صحيحا إلا بالقسط والعدل

كما في الكيل الوزن تماما. ومن رحمة الله أنه فطر الناس على هذا وجعل لهم كل ما يحتاجونه من عقل وسمع وبصر لفهم الحساب والعدد وليبنوا عليه مصالحهم الدينية والدنيوية. ولهذا فإن الآيات الشرعية التي تأمر بالعدل في الكيل وإقامة الميزان بالقسط فهي بلا شك تشمل الحساب بالميزان العقلي كما هو الحال مع الكيل بالميزان الحسي.

## 2.17 الحساب الصحيح من القسط

ولما كان الحساب هو مثل الكيل تماما ولكن بالميزان العقلي بدلا من الميزان الحسي، وجب إقامته بالقسط وهو العدل الظاهر.

## 2.18 الجهل بالحساب من الأمية

ومن أعظم البلايا في زماننا هذا أن المسلمين في غالبهم قد أضاعوا هذا العلم العظيم ظنا منهم أنه ليس من الدين في شيء بعد أن كانوا روادا فيه ووضعوا أسسه وقواعده في زمن هارون الرشيد كما سيأتي. فاعتنت وتسابقت وتهافتت عليه الأمم الأخرى وكان سببا في نهوضها وإزدهارها بل وأيضا تسليطها على أمة الإسلام. فتضييع علم الحساب من الأمية التي جاء الإسلام بالحث على خلافها من طلب العلم ونشره وإقامة الحق والميزان. فالأمية لا تكون فقط بعدم القدرة على القراءة والكتابة كما هو شائع، وإنما أيضا بعدم القدرة على الحساب. ومما يؤكد هذا الطرح قوله ﷺ عندما سأل عن عدد الأيام في الشهر فقال ﷺ: إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا. يَعْنِي مَرَّةً تِسْعَةً وَعِشْرِينَ، وَمَرَّةً ثَلَاثِينَ" (صحيح البخاري). فجعل ﷺ الجهل بعلم الحساب من الأمية.

ولهذا جاءت الشريعة بالحث أولاً على القراءة ومن ثم الحساب. فكان أول ما أنزل الله "إقرا" وفيه الحث لأمة الإسلام على تعلم القراءة والكتابة وطلب العلم ونشره. يقول تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ العلق. ومن ثم جاء الحث على التأمل في آيات الله الكونية في مواضع كثيرة ليس فقط لمجرد التفكير في خلق الله ولكن أيضاً لتعلم العدد والحساب كما جاء في قوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ يونس.

ولهذا فإن كل إنسان لم يتعلم الحساب مع القراءة والكتابة يكون أمياً كما بين ذلك النبي ﷺ. والله حث هذه الأمة الأمية في كتابه العظيم على العلم الذي يتأتى بالقراءة والكتابة حتى تقيم الحق والميزان الشرعي الذي يتأتى بالعدل والقسط في الكيل والحساب.

## 2.19 الحساب الصحيح يبني على الوزن

والحساب الصحيح لا يقام إلا بالميزان فعن أبي سعيدٍ وأبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى خَيْرٍ فَجَاءَهُ بِتَمْرٍ جَنِيْبٍ فَقَالَ: «أَكُلْ ثُمَّ خَيْرٌ هَكَذَا؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَنَأْخُذُ الصَّاعَ مِنْ هَذَا بِالصَّاعَيْنِ وَالصَّاعَيْنِ بِالثَّلَاثِ فَقَالَ: «لَا تَفْعَلْ بَعِ الْجَمْعَ بِالدَّرَاهِمِ ثُمَّ ابْتَغِ بِالدَّرَاهِمِ جَنْبِيًّا». وَقَالَ: «فِي الْمِيزَانِ مِثْلُ ذَلِكَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وهذا فيه حرص النبي ﷺ حيث انه من المعلوم أن من اخذ صاع اضافيا لا يثبت قيمة البيع. فيكون من أخذ صاعين بدل صاع فقد اشترى بنصف قيمة ما باع بينما من أخذ ثلاثة بدل اثنين فقد اشترى بثلثي قيمة ما باع وهذا من الظلم الذي

لا يقع إلا خطأ أو جهلاً أو غشاً. فأخبر النبي ﷺ أن هذا بخلاف الميزان وهو الحساب الصحيح في البيع والشراء، بل ونهى عن ذلك وأمر بأخذ القيمة عند البيع ومن ثم الشراء حتى تثبت القيمة. وفيه أيضاً أن الرسول ﷺ سمي الحساب الصحيح ميزاناً في قوله "في الميزان مثل ذلك". وهذا فيه دليل على نبوته ﷺ فهو أُمِّي لا يحسب ولكن لا ينطق إلا بالحق كما أخبر ذلك الله عز وجل في كتابه العظيم: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ النجم.

ومما يؤكد ما سبق أيضاً قوله ﷺ: الذهب بالذهب وزناً بوزن، مثلاً بمثل، سواءً بسواء، يداً بيد. يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى في بيان معنى هذا الحديث: ولا فرق بين كونه جديداً أو قديماً، أو كون هذا أطيّب وهذا أطيّب، ما دام جنس الذهب لا بد أن يكونا متساويين في الوزن يداً بيد، يقبض في الحال [هـ]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل ولا تشفوا -أي تفاضلوا- بعضها على بعض، ولا تبيعوا منها غائباً بناجز (متفق عليه).

والحساب يبني على التقدير العددي والتقدير الفكري. أما التقدير العددي فهو يضبط بالوزن والتقدير فكري يضبط بالحق. ولهذا يكون تقدير المخلوق محدود وناقص بما توفر لديه من علم وإدراك. وأما تقدير الخالق فهو تقدير كامل لا نقص فيه لأن الله هو العليم بكل شئ والقادر على كل شئ. ومن تقدير الله التقدير الكوني والتقدير الشرعي. ولما كان تقدير الله هو الحق وهو الميزان الذي لا نقص فيه، وافق تقديره الكوني سبحانه الميزان الكومي وتقديره الشرعي الميزان الشرعي.

ولهذا فإن الحساب الصحيح يبني على التقدير العددي والوزن وهو ما نعرفه اليوم بالتساوي. فقد سماه الخوارزمي رحمه الله تعالى بالجبر والمقابلة بحيث يبني الحساب على التساوي بين المتغيرات لجبر ما اختل من الميزان، عليه يمكن حساب ما جهل منها. فقد قال ابن تيمية رحمه الله عن هذا: وأما

حساب الفرائض ومعرفة أصول المسائل وتصحيحها والمناخات وقسمة التركات، وهذا الثاني كله علم معقول يُعلم بالعقل، كسائر حساب المعاملات وغير ذلك من الأنواع التي يحتاج إليها الناس [٥] ثم قد ذكروا حساب المجهول الملقب بحساب الجبر والمقابلة في ذلك، وهو علم قديم [٥] أول من عرف أنه أدخله فيها محمد بن موسى الخوارزمي. وبعض الناس يذكر عن علي بن أبي طالب أنه تكلم فيه، وأنه تعلم ذلك من يهودي، وهذا كذب على علي [هـ]. (مجموع الفتاوى 9/214). ويقول ابن تيمية فيه أيضاً: وكذلك كثير من متأخري أصحابنا يشتغلون وقت بطالتهم بعلم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والهندسة ونحو ذلك، لأن فيه تفريحاً للنفس، وهو علم صحيح لا يدخل فيه غلط [هـ]. (مجموع الفتاوى ج9/ص129). ويقول الشيخ الفوزان حفظه الله: أما ما كان من علم الحساب الذي ينتفع به في معرفة المواقيت ومعرفة القبلة فهذا مباح وهو ما يسمى علم التسيير [٥] وهو معرفة الحساب الذي به ينتفع الناس في مواقيت عباداتهم ومعاملاتهم ومواقيت زروعهم وغرس أشجارهم ويستدلون به على القبلة فهذا مباح وقد يجب تعلمه إذا كان يعين على أداء العبادات في مواقيتها [هـ]. ويقول الشيخ ابن باز رحمه الله: ولكن على الأمة أن تتعلم أيضاً ما ينفعها في دنياها: من الصناعات النافعة، ومن الاستعانة بها على قتال الأعداء وجهاد الأعداء، فيتعلم شؤون الزراعة، ويتعلم شؤون استخراج خزائن الأرض: من البترول والمعادن وغير ذلك؛ حتى تستغني عن أعداء الله، وتستخرج من بطون الأرض ومن خزائن الأرض ما ينفعها. [هـ].

## 2.20 أمثلة حسابية من القرآن والسنة

### 2.20.1 مكوث أهل الكهف

يقول جل جلاله عن مدة مكوث أهل الكهف في سورة الكهف: وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴿٢٥﴾ الكهف. فقد يسأل السائل لماذا جاء النص مع "وازدادوا تسعا" وهذا فيه الحكمة البالغة منه سبحانه. فن المعلوم أن الرسول ﷺ كان مخاطبا لأهل الكتاب وأن أهل الكتاب يستعملون السنوات الشمسية وأما المسلمين فهم يستعملون السنوات القمرية. فالمطلوب هنا حساب المدة بعدد السنوات الشمسية ليوافق ذلك حساب أهل الكتاب وتحويل ذلك إلى عدد السنوات القمرية الذي يستعمله المسلمين في تاريخهم. وبالحساب الصحيح يتبين الأتي:

عدد الأيام في السنة القمرية = 354 يوم

عدد الأيام في السنة الشمسية = 365 يوم

وبهذا يكون الفارق في عدد الأيام بينهما = 11 يوم

وعليه يكون في المئة سنة شمسية 36500 يوم وفي المئة سنة قمرية 35400 يوم. الفارق هو 1100 يوم. بتقسيم هذا الفارق على 354 نجد أن الفارق هو 3 سنوات قمرية. وبهذا يعلم أن لكل 100 سنة شمسية توجد 103 سنة قمرية تقريبا. وعليه يكون في كل 300 سنة شمسية هناك 309 سنة قمرية. ويكون الفارق هو فقط تسعة سنوات ولهذا جاء لفظ "وازدادوا تسعا" للبيان فهي 300 سنة شمسية بالنسبة لأهل الكتاب وزيادة عليها 9 سنوات لتوافق بذلك 309 سنة قمرية بالنسبة للمسلمين. وهذا ما يعرف في علم الحساب بوحدة قياس الأعداد. فبالحساب يمكن تحويل وحدة قياس من نوع إلى آخر. وفي هذا المثال كانت وحدة القياس هي الزمن وبه علم التحويل من القياس الشمسي إلى القياس

القمرى وخللاف بينهما لا يعنى التعارض بل لكل وحدة قياس حسابها انخاص. وهذا فى بيان حكمة الله وعلوه سبحانه وأن كلامه هو الحق لهذا جاء بعد هذه الآية قوله تعالى: قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا<sup>ط</sup> لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ الكهف. ويقول ابن كثير فى تفسير الآية التى ذكر فيها عدد السنوات: هذا خبر من الله تعالى لرسوله ﷺ بمقدار ما لبث أصحاب الكهف فى كهفهم، منذ أرقدهم الله إلى أن بعثهم وأثر عليهم أهل ذلك الزمان، وأنه كان مقداره ثلاثمائة سنة وتسع سنين بالهلالية، وهى ثلاثمائة سنة بالشمسية، فإن تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين؛ فلهذا قال بعد الثلاثمائة: (وازدادوا تسعا) [هـ].

## 2020.2 مكوث الوحي من عيسى عليه السلام إلى محمد ﷺ

وفى مثال آخر يشه المثال السابق فى تفسير قوله تعالى: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ<sup>ط</sup> فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ<sup>ط</sup> وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ المائدة. يقول ابن كثير فى تفسيره عن هذا: (على قتره من الرسل) أى: بعد مدة متطاولة ما بين إرساله وعيسى ابن مريم. وهو أنه ستمائة سنة. ومنهم من يقول: ستمائة وعشرون سنة. ولا منافاة بينهما، فإن القائل الأول أراد ستمائة سنة شمسية، والآخر أراد قتره، وبين كل مائة سنة شمسية وبين القمرية نحو من ثلاث سنين؛ ولهذا قال تعالى فى قصة أصحاب الكهف: وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ الكهف. أى: قتره، لتكميل الثلاثمائة الشمسية التى كانت معلومة لأهل الكتاب [هـ]. ولهذا فقد فهم المفسرين رحمهم الله بالقران الفرق بين عدد السنوات الشمسية والقمرية كما تقدم. وفيه أيضا عناية السلف رحمهم الله بالحساب وحساب الزمن وتحويله من وحدة قياس إلى



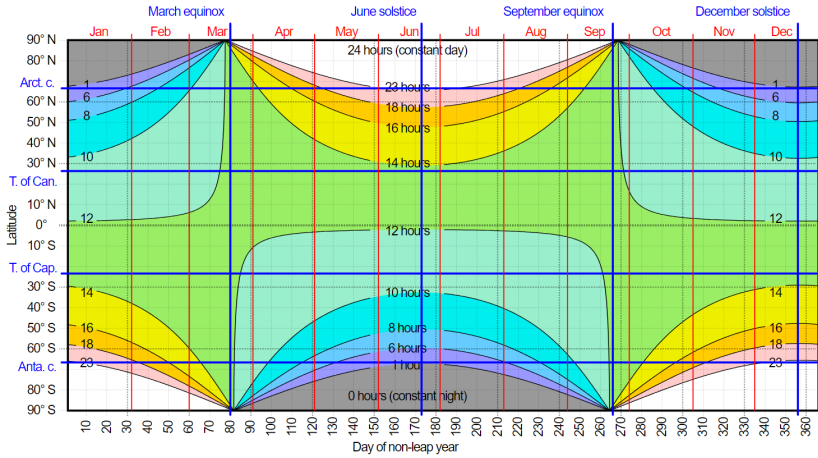
أخرى.

### 2.20.3 عدد ساعات اليوم والليلة

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً، لَا يُوجَدُ فِيهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا آتَاهُ إِلَّا آتَاهُ فَاتِمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ. (أبو داود (1048)، والنسائي (1389) وصححه الألباني). وفيه أن النبي ﷺ علم أن عدد ساعات اليوم بالمتوسط هو 12 ساعة. فإن كان لعدد ساعات الليلة مثل ذلك كانت عدد ساعات اليوم والليلة معا 24 ساعة. وهذا ما اعتاد عليه الناس في زماننا من حساب عدد ساعات اليوم والليلة. فإن ساعات اليوم والليلة تطول وتقصر خلال العام وتتغير بتغير المكان ولكن بالإجمال فهي 24 ساعة. وهذا فيه دليل نبوته ﷺ ففي زمانه لم يكن هناك الساعات الدقيقة التي نعرفها اليوم.

وعدد ساعات اليوم والليل تضبط بالتاريخ الشمسي كما موضع في

وكما موضع أن الأماكن القريبة من القطبين يغيب فيها النهار أو الليل خلال 24 ساعة وبهذا يمضي اليوم كاملا ويتعذر ضبط أوقات الصلاة بالطريقة المعتادة. وقد رخص أهل العلم على جواز ضبط وقت الصلاة فيها كما اعتاد الناس في سائر أوقات السنة أو قياسا على غيرها من الأماكن. فعَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَعَانَ الْكَلَابِيِّ، قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ فَقَالَ "إِنْ يُخْرِجُ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَيِّجُهُ دُونَكُمْ وَإِنْ يُخْرِجُ وَلَمْ تَسْأَلْ فِيكُمْ فَأَمْرُو حَيِّجُ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ فَإِنَّهَا جَوَارِكُكُمْ مِنْ فِتْنَتِهِ". قُلْنَا وَمَا لُبُّهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ "أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمَ كَسَنَةِ وَيَوْمَ كَشْهَرِ وَيَوْمَ جُمُعَةٍ وَسَائِرِ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ". قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةِ أَتُكْفِنُنَا فِيهِ صَلَاةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ قَالَ "لَا أَقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ



شكل 1.2: عدد ساعات النهار بحسب خطوط العرض

دَمَشَقَ فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابٍ لِدِّ فَيَقْتُلُهُ (صححه الألباني). وفي هذا يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: الواجب على سكان هذه المناطق التي يطول فيها النهار أو الليل أن يصلوا الصلوات الخمس بالتقدير إذا لم يكن لديهم زوال ولا غروب لمدة أربع وعشرين ساعة، كما صح ذلك عن النبي ﷺ في حديث النواس بن سمعان، المخرج في صحيح مسلم في يوم الدجال الذي كسنة، سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: اقدروا له قدره. وهكذا حكم اليوم الثاني من أيام الدجال، وهو اليوم الذي كسهر، وهكذا اليوم الذي كأسبوع. أما المكان الذي يقصر فيه الليل ويطول فيه النهار أو العكس في أربع وعشرين ساعة فحكمه واضح: يصلون فيه كسائر الأيام، ولو قصر الليل جدا أو النهار؛ لعموم الأدلة، والله ولي التوفيق [هـ]. وهذا فيه أهمية الحساب وتسجيل بيانات أوقات الصلاة حتى يمكن تقديرها تقديرا صحيحا بقدر المستطاع إن تعذر معرفة ذلك من بغياب الليل أو النهار خلال 24 ساعة كما في فتنة المسيح الدجال.

## 2.20.4 نسبية الوقت في القرآن

قال تعالى في كتابه: وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ الحج. ويقول ابن كثير في تفسيره: هو تعالى لا يعجل، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حكمه. وهذا فيه الدليل على أن حساب الوقت نسبي ويختلف كما أخبر الله سبحانه وتعالى في أكثر من موضع. ومن ذلك قوله تعالى: يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥٠﴾ السجدة. وأيضاً قوله تعالى: تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤٠﴾ المعارج. ففي هذه الآيات الدليل الواضح على أن الوقت لا يجري بنفس السرعة فبين الله تعالى ذلك بالنسبة لوقتنا في قوله "مما تعدون".

ويمكن توضيح ذلك المعنى عن طريق حساب فارق الوقت بين الجنة والأرض. فإن حملنا معنى "عند ربك" أي في الجنة كما في قوله: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ آل عمران، فهذا يكون لكل يوم واحد في الجنة ألف سنة مما نعد في الأرض كما يلي:

$$1 \text{ يوم في الجنة} = 1000 \text{ سنة في الأرض}$$

نبدأ أولاً بتحويل اليوم الواحد إلى ثواني. فإن علمنا أن اليوم به 12 ساعة بالمتوسط (اليوم والليلة معا 24 ساعة) كما في المثال السابق، وأن الساعة بها 60 دقيقة وأن الدقيقة بها 60 ثانية، عليه يكون اليوم الواحد به 43200 ثانية. ثانياً نحسب عدد الأيام في كل 1000 سنة. فإن إستخدمنا عدد الأيام في السنة القمرية يكون عدد الأيام الكلي في كل 1000 سنة قرية 354000 يوم. وإبقاء الميزان وإستبدال وحدات القياس يكون الناتج:

$$43200 \text{ ثانية في الجنة} = 354000 \text{ يوما في الأرض}$$

فإن قسمنا عدد الثواني في الجنة على عدد الأيام يكون:

1 ثانية في الجنة = 8.1944 يوما في الأرض

وعليه بمرور ثانية واحدة في الجنة تمر علينا 8 أيام و4 ساعات و39 دقيقة و22 ثانية في الأرض مما نعد ونحسب. وهذا لا يجب أن يفهم أن الوقت في الجنة بطيء جدا بالنسبة لمن هو في الجنة ولكن فقط بالنسبة للأرض. فالوقت هو نفسه كوحدة قياس ولكن قياس نفس القيمة في نطاق مختلف لا يلزم التساوي وإنما كل قياس يرجع لنطاقه الذي قيس فيه.

وهذه الظاهرة تم إكتشافها حديثا في بداية القرن العشرين على يدي العالم الفيزيائي ألبرت آينشتاين وتعرف بظاهرة التمدد الزمني وهي جزء من النظرية النسبية. وهي ظاهرة مثبتة ويمكن حسابها بدقة باستخدام مفاهيم معروفة وأهمها ثبات سرعة الضوء في الفراغ. وهي ظاهرة مهمة جدا وتستخدم لموائمة أنظمة الإتصال وأنظمة تحديد الموقع مع الأقمار الصناعية. بدون الأخذ بعين الإعتبار ظاهرة التمدد الزمني كل هذه الأنظمة تتعطل.

ومن المثبت أيضا في النظرية النسبية أن مرور الوقت نسبي وهو يبطأ مع زيادة السرعة أو الجاذبية. ومن المعلوم أن الجاذبية تزداد مع زيادة كتلة الكواكب. وبهذا يعلم أن الوقت على القمر يمر أسرع بقليل بالنسبة للأرض بينما الوقت على الأرض يمر أسرع بالنسبة للشمس. وهذا الفارق يزيد من زيادة الفرق في الحجم. وعليه فإن مرور الوقت في الجنة أبطأ بكثير من الأرض دل على عظم الجنة بالنسبة للأرض. وهذا يتوافق مع قوله تعالى: وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ آل عمران.

## 2.20.5 ظاهرة الغلاف الجوي

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَيُّهُمْ  
الَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ  
﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ  
الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ يس.

## 2.20.6 ظاهرة تعاقب الليل والنهار

تَوَلَّجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَتَوَلَّجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ  
نَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ آل عمران.  
يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ النور.

## 2.20.7 ظاهرة توسع الكون

من أعظم بلايا هذا الزمان هو تصوير ووضع العلم في إطار منفصل عن الايمان بل والاسوأ في إطار  
انكار وجود الخالق وهذا والله من اعظم الضلال والجهل.  
بينما في الحقيقة العلم هو الطريق للتأمل في آيات الله الكونية والتي جميعها تنادي بوجود الخالق  
وقدرته وعظمته. فكل ما نراه من تناسق في هذا الكون من ليل ونهار وشمس وقر ومطر وشجر وجر  
ودواب كلها من آيات الله الكونية.

ومن اعظم آيات الله الكونية أن الله عز وجل لم يجعل السماء ثابتة بل جعلها تتوسع فلو كانت  
ثابتة لقال الكثير ان هذا الكون ليس له بداية وهي ثابتة ازلا وبهذا يتكرون وجود الخالق. ولكن

الله جل جلاله جعل السماء تتمدد ليكون هذا التمدد دليلا على ان اطراف السماء كلها جاءت من نقطة واحدة وهذا هو الدليل القاطع على بداية الكون.

الإقرار بأن هذا الكون له بداية كما تشير كل الأدلة والمفاهيم التي توصل لها البشر في القرن العشرين ومنها ما جاء في نظرية الانفجار العظيم يبطل كل ما تم طرحه من أصحاب النظريات الإلحادية إذا يتعذر على شيء له بداية أن يبدأ من لا شيء.

قال تعالى: <sup>ط</sup>أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا <sup>ط</sup>وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ [الأنبياء: 30]

فقد اتفق المفسرون على ان معنى هذه الآية ان السماوات والأرض كانتا ملتصقتين وهذا ما يتوافق مع فهمنا اليوم بناء على المشاهدة أن الكون بدأ من نقطة واحدة.

فقد جاء في تفسير القرطبي ان ابن عباس والحسن وعطاء والضحاك وقتادة قالوا في تفسير هذه الآية: يعني أنها كانت شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهواء. وكذلك قال كعب: خلق الله السماوات والأرض بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطها ففتحها بها ، وجعل السماوات سبعا والأرضين سبعا. وقول ثان قاله مجاهد والسدي وأبو صالح: كانت السماوات مؤتلفة طبقة واحدة ففتقتها فجعلها سبع سماوات، وكذلك الأرضين كانت مرتبة طبقة واحدة ففتقتها فجعلها سبعا

وقال الطبري في تفسير هذه الآيات: أو لم ينظر هؤلاء الذي كفروا بالله بأبصار قلوبهم، فيروا بها، ويعلموا أن السماوات والأرض كانتا رَتْقًا: يقول: ليس فيهما ثقب، بل كانتا ملتصقتين، وقد جاء في تفسير ابن كثير:

ألم يروا ( أن السماوات والأرض كانتا رَتْقًا ) أي: كان الجميع متصلا بعضه ببعض متلاصقا متراكم، بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر ، ففتق هذه من هذه. فجعل السماوات سبعا، والأرض

سبعاء، وفصل بين سماء الدنيا والأرض بالهواء، فأمطرت السماء وأنبئت الأرض؛ ولهذا قال: ( وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ) أي: وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئا فشيئا عيانا ، وذلك دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء

ويقول جل جلاله: وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ [الذاريات: 47]

وقد جاء في تفسير السعدي رحمه الله: بِأَيْدٍ أي: بقوة وقدرة عظيمة وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ لأرجائها وأنحاءها،

## 2.20.8 ظاهرة المجال المغنطيسي

وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ الأنبياء..





# الحكم الرشيد

## 3.1 مقدمة

قال تعالى:

يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ [ص: 26]

تفسير ابن كثير:

هذه وصية من الله - عز وجل - لولاءة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلووا عن سبيله وقد تواعد [ الله ] تعالى من ضل عن سبيله ، وتناسى يوم الحساب ، بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد ، حدثنا مروان بن جناح ، حدثني إبراهيم أبو زرعة - وكان قد قرأ الكتاب - أن الوليد بن عبد الملك قال له : أيحاسب الخليفة فإنك قد قرأت الكتاب الأول ، وقرأت القرآن وفقهته ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين أقول ؟ قال : قل

في أمان . قلت يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أو داود ؟ إن الله - عز وجل - جمع له النبوة والخلافة ثم توعده في كتابه فقال : ( يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون ) الآية .

وقال عكرمة : ( لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ) هذا من المقدم والمؤخر لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا .

وقال السدي : لهم عذاب شديد بما تركوا أن يعملوا ليوم الحساب .  
وهذا القول أمشى على ظاهر الآية فالله أعلم .

## 3.2 أركان الحكم الرشيد

يقام الحكم الرشيد على ثلاثة أركان وهي: (1) إقامة الحق بالعلم الصحيح، (2) إقامة الميزان الشرعي بالعدل والقسط، (3) الأخذ بأسباب القوى كالحديد وما يلزم ذلك من علوم كالحساب والطب وغيرها من العلوم التي تكمن المسلمين من دحر الأعداء ونشر الحق ونصرتهم. فهذا كله من نصر الله ورسله وقد وعد سبحانه بنصر من ينصره كما في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ محمد.

وبهذه الأمور الثلاثة التي يبنى عليها الحكم الرشيد يكون التمكن الذي وعد الله به كما ذكر سبحانه في قصة ذي القرنين في قوله تعالى: إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ الكهف. وقد بين معنى ذلك الشيخ العثيمين رحمه الله أن معنى "من كل شيء سببا" أن الله أتاه كل الأسباب التي بها يكون التمكن في الأرض من قوة السلطة وتمام الملك فانتفع بما أعطاه الله

من الأسباب. فهذا التمكن جاء بتسخير الله وهذا لأن ذي القرنين أخذ بالأسباب التي أعطاها الله له مع إقامة الحق وإقامة العدل كما في قوله تعالى: قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَّكَرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ الكهف. وقد جاء في تفسير السعدي رحمه الله أن هذا يدل على كونه من الملوك الصالحين الأولياء، العادلين العالمين، حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد، بما يليق بحاله [هـ]. وقد أثبت سبحانه له التمكن والرشد لما له من الخبرة في إتباع الأسباب كما في قوله تعالى: كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ الكهف. ومعنى ذلك أي: أحطنا بما عنده من الخير والأسباب العظيمة كما جاء في تفسير السعدي. ومن ذلك أنه كان لديه من الأسباب العلية ما يمكنه من فهم العديد من العلوم التي تمكنه من الانتقال إلى مشارق الأرض ومغاربها وفهم اللغات الأخرى، ومن ذلك ما فقه به ألسنة أولئك القوم (الذين لا يفقهون قولاً) الذين اشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج [١] إفسادهم في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، ولا تاركا لإصلاح أحوال الرعية، بل كان قصده الإصلاح، فلذلك أجاب طلبتهم لما فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر ربه على تمكنه واقتداره [هـ]. فلم يطلب منهم إلا أن يعينوه على حمل زير أي قطع الحديد ووضعه في مكانه بين الجبلين وإشعال النار له بالمنافخ الشديدة والآلات العظيمة لإذابة النحاس حتى يكون سائلا فيصبه عليها ليستحكم السد استحكما هائلا يعجز يأجوج ومأجوج على الصعود فوقه فضلا عن ثقبه.

وقد علم ذا القرنين أن كل ذلك من فضل الله عليه حيث قال تعالى: قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ الكهف. وما أجمل ما أورده السعدي في تفسيره هذه الآية حيث قال: فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل، أضاف النعمة إلى موليا

وقال: هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي أَي: من فضله وإحسانه عليّ، وهذه حال الخلفاء الصالحين، إذا من الله عليهم بالنعم الجليلة، ازداد شكرهم وإقارهم، واعترفهم بنعمة الله كما قال سليمان عليه السلام، لما حضر عنده عرش ملكة سبأ مع البعد العظيم، قال: قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ التل. بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في الأرض فإن النعم الكبار، تزيدهم شرا وبطرا. كما قال قارون، لما آتاه الله من الكنوز، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، قال: قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي الْقَصَص.

وقد علم أيضا ذا القرنين بما لديه من الخبرة بأسباب الحديد وما قد يطرأ عليه من صدى وتأكل بعد زمن أنه سيأتي يوم وينهار هذا السد العظيم ويخرج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان كما في قوله تعالى: فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ الكهف. وجاء في تفسير السعده رحمه الله أن قوله: فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي أَي: لخروج يأجوج ومأجوج جَعَلَهُ أَي: ذلك السد المحكم المتقن دَكَّاءَ أَي: دكه فانهدم، واستوى هو والأرض وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا [هـ]. ولهذا فقد أخبر سبحانه بوقوع ذلك لا محالة في قوله تعالى: حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ الأنبياء. وقد قال السعدي رحمه الله: أنه في آخر الزمان، يفتح السد عنهم، فيخرجون إلى الناس في هذه الحالة والوصف، الذي ذكره الله من كل من مكان مرتفع، وهو الحذب ينسلون أي: يسرعون. وفي هذا دلالة على كثرتهم الباهرة، وإسراعهم في الأرض، إما لبذواتهم، وإما لما خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد، وتسهل عليهم الصعب، وأنهم يقهرون الناس، ويعلمون عليهم في الدنيا، وأنه لا يد لأحد بقتالهم.

وكل ما تقدم فيه أن ذا القرنين لم يكن فقط يأخذ بالأسباب وإنما كان يقيم الحق والعدل مع الأخذ بالأسباب والعلم بها وذلك من فضل الله عليه وتوفيقه له رحمه الله تعالى ورضي عنه. وقد

قال عنه الشيخ ابن باز رحمه الله: ذو القرنين ملك عظيم صاحب خير، وإحسان، وإصلاح، واختلف الناس في نبوته، والمشهور أنه ملك صالح. وفي موضع آخر رجع الشيخ ابن باز رحمه الله أن ذا القرنين نبيا من الأنبياء لأنه كان يتبع أمر الله في الأرض وظاهر الآيات أنه كان يتلقى هذه الأوامر والتوجيهات من ربه جل جلاله وهذا شأن النبي.

### 3.3 الحكم الرشيد في زمن الصحابة

البيان الواضح لسنين الخلافة الراشدة

قال صلى الله عليه وسلم

خَلَائِفَةُ النَّبِيِّ ثَلَاثُونَ سَنَةً ، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمَلِكَ مَنْ يَشَاءُ

الراوي : سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الجامع

| الصفحة أو الرقم : 3257 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

قال سعيد: قال لي سَفِينَةُ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ: أَبُو بَكْرٍ سَنَتَيْنِ، وَعُمَرُ عَشْرًا، وَعِثْمَانُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وَعَلِيٌّ كَذَا، قَالَ سَعِيدٌ: قُلْتُ لِسَفِينَةَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا لَمْ يَكُنْ بِخَلِيفَةٍ، قَالَ: كَذَبَتْ أَسْتَاهُ بَنِي الزَّرْقَاءِ - يَعْنِي: بَنِي مَرْوَانَ - الرَّاوي : سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم | المحدث : الألباني

| المصدر : صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: 4646 | خلاصة حكم المحدث : حسن

وجاء في تفسير ابن كثير وجاء في تفسير القرطبي ان الشعبي قال: كان بين عمر وأبي خصومة ، فتقاضيا إلى زيد بن ثابت ، فلما دخلا عليه أشار لعمر إلى وسادته ، فقال عمر : هذا أول جورك ، أجلسني وإياه مجلسا واحدا ، فجلسا بين يديه .

قال أبو بكر ، بعد أن حمد الله وأثنى عليه : يا أيُّها النَّاسُ ، إنَّكم تقرأون هذه الآية ، وتضعونها على غير موضعها عليكم أنفسكم لا يضرُّكم من ضلَّ إذا اهتديتم وإنَّا سمعنا النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ : إنَّ النَّاسَ إذا رأوا الظَّالِمَ فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم اللهُ بعقابٍ وإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ : ما من قومٍ يعملُ فيهم بالمعاصي ، ثمَّ يَقْدِرُونَ على أن يغيروا ، ثمَّ لا يغيروا إلَّا يوشِكُ أن يعمهم اللهُ منه بعقابٍ الراوي : أبو بكر الصديق | الحدث : الألباني | المصدر : صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: 4338 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

### 3.4 الحساب في زمن الحكم الرشيد

البحث والعناية بعلم الحساب هو غاية جليلة ومهمة عظيمة أعتنى بها المسلمون اللاحقون في زمن الخليفة الراشد هارون الرشيد التي أسس دار الحكمة في بغداد العراق حتى أصبح المسلمين في ذلك الوقت روادا في علم الحساب والذي كان مفتاحا لهم لشتى العلوم الأخرى حتى عرف ذلك الزمان بالعصر الإسلامي الذهبي. ومن أبرز من بحث وألف في علم الحساب هو العالم الفذ محمد بن موسى الخوارزمي رحمه الله تعالى والذي وصل صيته أقطاب الأرض حتى دخل أسمه معاجم وقواميس كافة اللغات الأخرى. فاللوغرثميات جاءت من الترجمة اللاتينية لإسمه وهو ما عرف عند العرب المتأخرين بالخوارزميات. وهذا مفهوم يبنى عليه كافة الحسابات المركبة والمعقدة التي نراها اليوم من أنظمة الحساب والمنطق بشتى أنواعها بما فيها أنظمة الصواريخ والطيران وحتى أنظمة الذكاء الاصطناعي. وقد ألف الخوارزمي كتابه "المختصر في الجبر والمقابلة" وكان هذا الكتاب نافعا للمسلمين وغيرهم وهو أساس تقدم البشرية في شتى المجالات إلى يومنا هذا. ولهذا سمي علم الموازنة والمقابلة بعلم "الجبر" كما سماه

الخوارزمي بذلك وتمت اضافة كلمة "الجبر" أيضا إلى كافة معاجم اللغات الأخرى. ويعتبر الخوارزمي إلى يومنا هو مؤسس علم الجبر والحساب والخوارزميات ومن أهم علماء الحساب في تاريخ البشرية.

وللأسف فقد غاب وغيب على أغلب المسلمين في زماننا هذا أهمية ميراث الخوارزمي في علم الجبر والحساب. وهو ميراث حري بنا جمع شتاته وإعادة بناء أركانه لتقوم الأمة بالميزان الذي أمرنا الله به. فقد جهل الكثير من المسلمين ميراث الخوارزمي حتى بخس قدره ونسي علمه فكان بين مفراط أو مدلس. ومن ذلك ضياع كتابه في الجبر والمقابلة من المسلمين حتى تمت طباعة أول نسخة عربية منه في عام 1939م (1357هـ) بناء على النسخة الأصلية الوحيدة التي سرقت من مصر ونقلت إلى بريطانيا والتي يرجع تاريخها إلى عام 1439م (843هـ) أي بعد وفاة الخوارزمي بحوالي 500 عام شمسية. ليرجع لنا كتاب الخوارزمي بعد حوالي ألف عام من تأليفه. وفي كل هذه الأعوام ترجم كتابه إلى شتى اللغات ومنها الإنجليزية والألمانية والفرنسية وأصبحت مرجعا لجميع الحضارات الأوروبية وغيرها. ليتفاجأ المسلمون بوجود كلمات عربية في هذه الثقافات ومنها algorithms والتي تعني الخوارزميات وكلمة algebra وهي الجبر في معجم اللغة الإنجليزية على سبيل المثال لا الحصر.

ومن التدليس الذي تعرض له الخوارزمي في تقديم كتابه هو نسبة عمله إلى الحضارة المصرية في طرح مخالف للطرح الذي وضعه الخوارزمي في كتابه. وهذا ليس إلا إحقاقا للحق ولا يجب أن يحمل هذا على محمل الإستنقاص لمن نقل هذا العمل لنا تقديما وتعليقا فجزاهم الله خير الجزاء. ومن التدليس أيضا طرح كتابه في الحساب مجردا من الغاية التي كتب لها ومنه عدم ذكر سبب تأليف كتابه في الجبر والذي كان في الأساس سعيا منه رحمه الله لتحقيق الحكم الرشيد بناء على الحساب الصحيح في الميراث والبيع والشراء والكرء وما يتعلق بذلك من حساب المسافات والأرض. ولتبتين طرح

الخوارزمي نضع مقدمة كتابه رحمه الله والتي جاء فيها:<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> مع تصرف يسير من حذف لكلمات التي تخالف السياق وفي الغالب قد يظن انها أخطاء خلال النسخ.



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب وضعه محمد بن موسى الخوارزمي افتتحه بأن قال:

الحمد لله على نعمه بما هو أهله من محامده التي بأداء ما افترض منها على من يعبده من خلقه يقع اسم الشكر ويستوجب المزيد إقرارا بروبوته وتذلا لعزته وخشوعا لعظمته. بعث محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالنبوة على حين فترة من الرسل نورا من الحق ودروس من الهدي فبصر به من العمى واستنقذ به من الهلكة وكثر به بعد قلة وألف به بعد الشتات.

تبارك الله ربنا وتعالى جده وتقديست أسمائه ولا إله غيره، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم. ولم تزل العلماء في الأزمنة الخالية والأمم الماضية يكتبون الكتب مما يصنفون من صنوف العلم ووجوه الحكمة نظرا لمن بعدهم واحتسابا للأجر بقدر الطاقة ورجاء أن يلحقهم من أجر ذلك وذخره وذكره ويبقى لهم من لسان صدق ما يصغر في جنبه كثير مما كانوا يتكفلونه من المؤونة ويحملونه على أنفسهم من المشقة في كشف أسرار العلم وغامضه. إما رجل سبق إلى ما لم يكن مستخرجا قبله فوريته من بعده. وإما رجل شرح مما أبقي الأولون ما كان مستغلقا فأوضح طريقه وسهل مسلكه وقرب مأخذه. وإما رجل وجد في بعض الكتب خلا فلا شعثه وأقام أوده وأحسن الظن بصاحبه غير راد عليه ولا مفتخر بذلك من فعل نفسه.

وقد شجعتني ما فضل الله به الامام المأمون أمير المؤمنين مع اخلافة التي حاز له إرثها وأكرمه بلباسها وحلاه بزينتها. من الرغبة في الأدب وتقريب أهله وإدنائهم وبسط كنفه لهم ومعونته إياهم على إيضاح ما كان مستبهما وتسهيل ما كان مستوعرا. على أن ألفت من كتاب الجبر والمقابلة كتابا مختصرا حاصرا للطيف الحساب وجليله لما يلزم الناس من الحاجة إليه في مواريثهم ووصاياهم وفي مقاسمتهم وأحكامهم وتجارتهم. وفي جميع ما يتعاملون به بينهم من مساحة الأرضين وكرى الأنهار والهندسة وغير ذلك من وجوه وفنونه. مقدما لحسن النية فيه وراجيا لأن ينزله أهل الأدب بفضل ما استودعوا من نعم الله تعالى وجليل آلائه وجميل بلائه عندهم منزلة وبالله توفيتي في هذا لا في غيره عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وصلى الله على جميع الأنبياء والمرسلين.

وعليه يلزم أن الخوارزمي رحمه الله إنما ألف كتابه هذا لتوضيح علم الحساب الصحيح الذي يحتاج إليه الناس في أمور دينهم ودنياهم. فقد افتتح الخوارزمي رحمه الله كتابه بالبسملة متبعا سنة الأنبياء في ذلك. وكان رحمه الله حريصا وراجيا بأن يعتنى أهل الأدب بهذا الكتاب ويعطونه حقه وينزلونه منزلته لما علم ما فيه من أسس وقواعد لا غنى عنها في علم الحساب الصحيح. وختم مقدمته سائلا الله التوفيق في ذلك ومتوكلا عليه. وبهذا يتبين حسن مقصد الخوارزمي من تأليف كتابه فنسأل الله العلي العظيم أن يرحمه رحمة واسعة وأن يرفع قدره في الجنة وأن يجزيه عنا خير الجزاء.

فبدأوا بالعناية بعلم الحساب وجمع مؤلفاته من كافة أقطاب الدنيا فعكفوا على ترجمتها حتى فهموها وعقلوها وعرفوا ما شابها من خطأ ونقصان. فأسسوا نظام الأرقام الذي نعرفه اليوم فقسموا الأرقام إلى أرقام فردية وأسسوا علم الجبر وحساب المثلثات وغيرها من علوم الحساب بشكل لم تعرفه البشرية من قبل. وكان ذلك سببا في تحقيق الحكم الرشيد في المعاملات والبيع والشراء والكراء. فكان علم الحساب مفتاحا في تطور المسلمين في شتى مجالات الدنيا ومنها مجال الهندسة والطب في العصر الإسلامي الذهبي.

سيرة هارون الرشيد المحيدان

الفوزان

كلام الفوزان في المأمون غرر به المعتزلة

ومن الحكم الرشيد مصالحة الكفار لدرء المفاسد كما في العهد المكي وفيه أيضا ان النجاشي لم يكن مسلم ولا يظلم عنده أحد فهو حقق العدل

### 3.5 عودة الحكم الرشيد في آخر الزمان

يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ يَقْسِمُ الْمَالَ وَلَا يَعُدُّهُ. الراوي : أبو سعيد الخدري وجابر بن عبد الله | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: 2913 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]  
 مِنْ خُلَفَائِكُمْ خَلِيفَةٌ يَحْثُو الْمَالَ حَثْيًا، لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا. وفي رواية ابن حجر: يَحْثِي الْمَالَ. الراوي : أبو سعيد الخدري | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم : 2914 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

### 3.6 معادلات

فيما يلي مثال على معادلة رياضية:

$$E = mc^2 \quad (1)$$

ومثال آخر على معادلة معقدة:

$$\int_0^{\infty} e^{-x^2} dx = \frac{\sqrt{\pi}}{2} \quad (2)$$

### 3.7 نص الفصل الأول - الصفحة الثانية

هذه الصفحة الثانية للفصل الأول تحتوي على نص إضافي لتوضيح كيفية تنسيق النصوص في كتب اللاتكس باللغة العربية.

### 3.8 نص الفصل الأول - الصفحة الثالثة

هذه الصفحة الثالثة للفصل الأول تحتوي على المزيد من النصوص لاختبار تقسيم الصفحات وظهور الرؤوس والأقدام بشكل صحيح في النصوص العربية.



# ميزان الله

## 4.1 مقدمة

هذه هي المقدمة للفصل الأول.

## 4.2 فضل الميزان





# التفكر في آيات الله الكونية

## 5.1 مقدمة

هذه المقدمة للفصل الأول.

## 5.2 التفكير في آيات الله الكونية

التفكر في آيات الله الكونية هو عبادة عظيمة حث الله عز وجل عليها في كتابه في غير موضع. منها ما قرن مع العدد والحساب كما في قوله تعالى: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّبَتَّغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانُهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ الإسراء. وفي قوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِّتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ يونس.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا

باطلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ آل عمران.

إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاختِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ المجاثية.

التفكر في كتاب الله: لو أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ الْحَشْرِ. بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ النحل.

التفكر في السموات والأرض وَخَرَّ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ المجاثية.

التفكر في الأرض، والجبال، والأنهار، والثمار، والأزواج، والليل والنهار: وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ الرعد.

التفكر في النحل:

ثُمَّ كُلِّي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ النحل.

التفكر في الحياة الدنيا:

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ يونس.

التفكر في الزرع والزيتون والنخيل والأعناب، وكل الثمرات:

يُنَبِّتْ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ<sup>ط</sup>

﴿١١﴾ النحل.

التفكر في الزواج:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ<sup>ج</sup> ﴿٢١﴾ الروم.

التفكر في الموت:

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى<sup>ج</sup> إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ الزمر.

النبهي

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ الحج.



# الحساب الكوني

## 6.1 مقدمة

خلق الله كل شئ بقدر معلوم ووضع الميزان فجعل هذا الكون موزونا ومتناسقا سبحانه. ومن حكمته أنه سبحانه فطر الناس على فهم ذلك الميزان وجعل لهم كل ما يحتاجونه في ذلك من عقل وسمع وبصر. ومن فضله علي الناس أنه أرسل إليهم الرسل وأنزل الكتاب وما فرط فيه من شئ. ومن ذلك أنه أرشد سبحانه التأمل في آياته الكونية لتعلم العدد والحساب. ولهذا فإن أفضل طريقة لفهم علم الحساب هو التأمل والتفكر في الظواهر الطبيعية التي خلقها الله ومحاولة حسابها. فهي المرجع لنا حتى نتحقق من صحة وسلامة الحساب. وهذا النهج هو نهج القرآن وهو أفضل الطرق وأحسنها. ويمكن دراسة علم الحساب مجردا من أي تطبيقات وهذا أيضا نهج معروف. ولكن الجمع بين علم الفيزياء والحساب لمحاولة محاكاة الظواهر الطبيعية من أفضل الطرق لتطوير علم الحساب. وهذا معروف حيث تفوق الباحثين الذين جمعوا بين الحساب والفيزياء مثل نيوتن وأشتاين وفورير على غيرهم ممن درس علم الرياضيات المجرد فكانوا روادا في ذلك.

ولهذا يكون الطريق للبحث وفهم علم الحساب كما يلي:

1. التفكير في آيات الله الكونية والتأمل فيها ومحاولة فهمها وربطها ببعضها البعض على وجه الإجمال.
2. حساب هذه الظواهر على إنفراد ومع التدرج في التعقيد حتى يمكن حسابها بالدقة المطلوبة ومن عدة طرق وجوانب.
3. الجمع بين الظواهر المترابطة ومحاولة فهم ترابطها وتأثيرها على بعضها البعض وحساب ذلك لبناء فهم أكثر شمولاً ودقة.
4. تلخيص القواعد الحسابية بناء على ما سبق وتطبيقها في فهم ظواهر أخرى أكثر تعقيداً أو تصحيح الحساب فيما ينفع الناس في أمور دينهم ودنياهم.

## 6.2 جداول

فيما يلي مثال على جدول:

العنوان 1	العنوان 2	العنوان 3
الخلية 1	الخلية 2	الخلية 3
الخلية 4	الخلية 5	الخلية 6

جدول 1.6: مثال على جدول

## 6.3 مراجع باستخدام BibTeX

لإضافة مراجع باستخدام BibTeX، يمكن استخدام الملف التالي: `references.bib`

```
@book{example,
```

```
author = "المؤلف",
```

```
title = "عنوان الكتاب",
```

```
publisher = "دار النشر",
```

```
year = "السنة"
```

```
}
```

ثم تضمين المراجع في المستند الرئيسي:

```
\bibliographystyle{plain}
```

```
\bibliography{references}
```

## 6.4 نص الفصل الثاني - الصفحة الثانية

هذه الصفحة الثانية للفصل الثاني تحتوي على نص إضافي لاختبار تقسيم الصفحات وظهور الرؤوس والأقدام بشكل صحيح في النصوص العربية.



## 6.5 نص الفصل الثاني - الصفحة الثالثة

هذه الصفحة الثالثة للفصل الثاني تحتوي على المزيد من النصوص لاختبار تقسيم الصفحات وظهور الرؤوس والأقدام بشكل صحيح في النصوص العربية.



# الذكاء الاصطناعي

## 7.1 مقدمة

## 7.2 المعرفة والوعي والإدراك

هناك نقاش مهم يتعلق بموضوع ما إذا كانت نماذج الذكاء الاصطناعي العام ستكون قادرة على المعرفة والإدراك والوعي في المستقبل القريب (تقريباً مع حلول 2030). وحيث أن أنه على عدة أمور وخاصة للمسلمين.

أغلب الباحثين في مجال الذكاء الاصطناعي يعتقدون أن نماذج الذكاء الاصطناعي العام والتي ستكون لها قدرات معرفية تتجاوز قدرة الإنسان في جميع المجالات، ستكون قادرة على الإدراك وسيكون لها وعي. وبطريقة غير مباشرة هذا ما هو إلا مقدمة للقول بأن هذه النماذج لها أرواح مثلها مثل البشر.

بالمختصر هذا أمر خطير يمس عقيدة المسلمين، والشرح كالآتي.

أولا يجب التنويه لأمر هام جدا ألا وهو أن المعرفة والإدراك والوعي كلها تتطلب مشاعر وهي أمور تختص بها الروح والتي هي من أمر الله التي بها يبث الله الحياة في خلقه. وهذا معروف بما نعلمه عن الروح بما دلت عليه البراهين في الكتاب والسنة من أن الروح تنفخ في الجنين في بطن أمه وتصعد إلى السماء وتهبط وتقبض في النوم وترسل وتعذب في القبر وتضرب ضربة يسمعها كل شيء إلا الثقلين. فالأنس والجن والحيوانات كلها ذات أرواح وتكون حية فقط عند وجود الروح في الجسد وتموت بمفارقة الروح الجسد. وهذا موضوع بحث فيه الإمام ابن القيم في كتابه الروح لمن أراد أن يطلع. وقد ذكر الشيخ ابن باز رحمه الله أن الحياة نوعا: حياة روح وحركة مثل الإنسان والحيوان والجن وحياة نمو فقط مثل النباتات وهي ليس لها خصائص حياة الروح مثل السمع والبصر والحركة. أنظر الرابط أول التعليق.

ولهذا فإن الإدعاء بأن نماذج الذكاء الإصطناعي العام سيكون لها وعي وإدراك بمعنى القدرة على الإحساس والاستقلال بذاتها كما هو معروف من خصائص الروح هو أمر ينافي عقيدة المسلمين. القدرات المعرفية الخارقة المجردة من الإحساس لا تلزم الوعي والإدراك. فالحاسب الإلي له قدرة كبيرة لحفظ ومعالجة وتحليل كميات كبيرة من البيانات وتزداد هذه القدرة مع زيادة القدرة الحاسوبية والتخزينية. ولكن هذا لا يجعل الحاسب واعي أو مدرك.

## المصادر